عمائر وزير خان بمدينة لاهور ، دراسة أثرية حضارية

إعداد
دكتور / محمد على عبد الحفيظ محمد
أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية
المشارك بجامعتى:
الأزهر بالقاهرة
والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

تحتفظ جمهورية باكستان الإسلامية بعدد وافر من المواقع الأثرية الإسلامية المتميزة ، وقد حالت الظروف الأمنية الصعبة التى تمر بها هذه الدولة دون ظهور أبحاث متخصصة باللغة العربية تتناول الآثار والفنون الإسلامية فى هذا البلد ، وقد شاءت الأقدار أن أكون أحد الآثاريين العرب القلائل الذين أتيحت لهم الفرصة لزيارة المواقع الأثرية الإسلامية فى باكستان وتناول آثارها وفنونها بالبحث والتحليل .

وتعتبر مدينة لاهور عاصمة إقليم البنجاب أهم مدينة أثرية إسلامية فى باكستان ، وهى ثانى أكبر المدن الباكستانية بعد كراتشى ، وتعد العاصمة الثقافية لباكستان ، خضعت لاهور للحكم الإسلامي بعد أن فتحها السلطان محمود الغزنوى فى سنة412هـ/1021م ، وتعاقب على حكمها الغوريون والخلجيون والتغلقيون والسعديون واللوديون ثم المغول [1] .

وقد حظيت لاهور فى عصر المغول بمكانة متميزة ، وأعتبرت العاصمة الثانية للدولة المغولية ، وكانوا يطلقون عليها اسم " دار السلطنة " [2] ، وأول أباطرة المغول اهتماما بلاهور كان الامبراطور أكبر (963 ـ 1014هـ / 1556ـ 1605م)الذى أقام بلاطه فيها أربعة عشر عاما متواصلة (992 ـ 1006هـ /1584- 1598م) ، وأعاد بناء قلعة لاهور ، وأحاط المدينة بسور من الآجر [3] ، ولم تفقد المدينة أهميتها فى

---

[1] عن هذه الدول انظر ، أحمد محمود الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج1 ، القاهرة 1958م ، عصام الدين عبد الرؤف الفقى ، بلاد الهند فى العصر الإسلامى منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيمورى ، القاهرة ، 1980م ، ص ص 73- 162.

[2] . Latif , Syed Muhammad , Lahore its history , architecture remains and antiquities , Lahore , 1892, pp 416 – 418 .

كنهيا لال ، تاريخ لاهور "أوردو" ، لاهور ، 2001م ، ص 8 .

[3] . Khan , Muhammad Wali Ullah , Lahore , and its important monuments , Karachi , 1964 ,P 6

عهد جهانكير (1014- 1037هـ /1605- 1628م) ، وبلغ من حب جهانكير لمدينة لاهور أنه أوصى أن يدفن فيها فى ضاحية " شاهدرا " القريبة من لاهور ، أما شاه جهان (1038- 1068هـ/1628- 1658م) فقد ولد فى مدينة لاهور ، ومن ثم فقد اهتم بها وأمر ببناء العديد من المبانى داخل قلعة لاهور تحت إشراف " وزير خان " [1] .

ويعد وزير خان من أهم الشخصيات التى تركت بصمات واضحة على مدينة لاهور ، بفضل العمائر العديدة التى أنشأها بتلك المدينة والتى كان لها أثر كبير فى التطور العمرانى لهذه المدينة .

وزير خان هو لقب اشتهر به الشيخ علم الدين أنصارى بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ حسام الدين الذى كان حاكما لمدينة لاهور فى عهد الامبراطور شاه جهان ، ينتمى وزير خان إلى بلدة شينيوت Chiniot التى تقع على ضفة نهر شينياب Chenab التابعة لمديرية جنك Ghang بإقليم البنجاب [2] .

لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ميلاد وزير خان ، لكن المرجح أنه ولد بين عامى1013- 1015هـ / 1604م - 1606م فى عهد الامبراطور جهانكير [3] ، وطبقا لما يذكره المؤرخ عبد الحميد اللاهورى صاحب كتاب " بادشاه نامه " فإن وزير خان قد درس فى بداية حياته اللغة العربية والفلسفة الإسلامية فى بلدته " شينيوت " ، وفى سن العشرين انتقل إلى لاهور ومكث بها قليلا ، ثم رحل إلى مدينة دلهى

[1] محمد دين فوق ، لاهور عهد مغليه مين - أردو - ، لاهور ، 2005 ، ص ص 19 ، 22 ، 111 .

[2] نور أحمد جشتى ، تحقيقات جشتى - أردو - ، لاهور ، 2006م ، ص 770 ، محمد إقبال بهته ، بنجاب كى آثار قديمة - أردو - ، لاهور ، 2007م ، ص 152 .

[3] راو جاويد إقبال ، تاريخ حاكمان لاهور - أردو - ، لاهور ، 2009م ، ص 265 .

ليدرس الطب هناك على يد طبيب مشهور فى ذلك الوقت اسمه " حكيم داوى " [1]، وبعد اتمام دراسته اشتغل بمهنة الطب فترة من الزمن فى دلهى ، لكنه سرعان ما رحل منها إلى مدينة أكبر آباد " أجرا "، ولأنه كان شاعرا أيضا فقد كان يتردد على مجالس الشعراء بتلك المدينة [2] .

ذاع صيت وزير خان حتى وصلت شهرته إلى الأمير شاهزاده خرم Khurram الذى أصبح فيما بعد امبراطورا وتلقب بـ " شاه جهان " فألحقه بخدمته ، وأصبح وزير خان طبيب الأسرة الحاكمة ، وحظى بعطف أفراد هذه الأسرة خاصة بعد أن نجح فى علاج الملكة نور جهان زوجة الامبراطور جهانكير من مرض ألم بها وعجز جميع الأطباء عن علاجها ، ويقال إن وزير خان قد كوفئ بنجاحه فى علاج الملكة بهدايا وأموال كثيرة بلغ مجموعها اثنين وعشرين لكة من الروبيات أى حوالى مليونين ومائتى ألف روبية ، منها سبعمائة ألف روبية أعطاها له الأمير خرم " شاه جهان " كما منحه خلعة قيمتها مائة ألف روبية ، ويقال أيضا إن نور جهان خلعت قلادتها وأعطتها لوزير خان تقديرا له على جهوده [3] .

أصبح وزير خان من المقربين جدا إلى الأمير خرم فعهد إليه بالإشراف على ديوان يسمى " ديوان البيوتات " ، ثم رقاه إلى وظيفة مير سامان Mir Saman أى المشرف على المطبخ الملكى ، وتفانى وزير خان فى عمله فازاد إعجاب الأمير خرم به وازدادت حظوته عنده ، وأخذ يصطحبه معه فى كل مكان يذهب إليه [4] .

---

[1] Latif , Syed Muhammad ,Op-cit , p 215 .

[2] راو جاويد إقبال ، المرجع السابق ، ص 265

[3] نور أحمد جشتى ، المرجع السابق ، ص ص 770 – 772 ، راو جاويد إقبال ، المرجع السابق ، ص 266 .

[4] Latif , Syed Muhammad , Op-cit , p 215 .

وكان عام 1038هـ /1628م نقطة تحول فى حياة وزير خان ففى هذا العام ارتقى الأمير خرم عرش البلاد وتلقب بـ " شاه جهان " ـ أى ملك العالم ـ فقام بتعيين وزير خان حاكما على مدينة أكبر آباد " أجرا " للمرة الأولى ، واستمر فى هذا المنصب حتى عام 1041هـ / 1632م ، وفى خلال هذه الفترة وبالتحديد فى سنة 1040هـ / 1631م توفيت الملكة ممتاز محل زوجة الامبراطور شاه جهان بمدينة برهان بورا ، وكلف وزير خان بنقل جثمان الملكة إلى " أجرا " لتدفن فى ضريحها المشهور " تاج محل " [1] .

أما عن سبب تلقب وزير خان بهذا اللقب فهناك روايتين فى تفسير ذلك ، الرواية الأولى تقول أنه حصل على هذا اللقب من الامبراطور جهانكير بناء على طلب من الملكة نور جهان بعد أن نجح فى علاجها [2] ، والرواية الثانية تذكر بأن شاه جهان هو الذى أعطاه هذا اللقب ، لكنهم اختلفوا فى المناسبة التى منحه فيها هذا اللقب ، فقال بعضهم اعتمادا على رواية للمؤرخ محمد صالح كمبوه صاحب كتاب " عمل الصالح " أن شاه جهان منحه هذا اللقب بمناسبة توليه العرش فى سنة 1038هـ / 1628م [3] ، بينما ذكر آخرون أن منحه اللقب كان عندما امتنع فتح خان دولة آبادى عن دفع الخراج للدولة فأرسل شاه جهان وزير خان لمحاربته ، وعندما سمع فتح خان بزحف وزير خان نحوه أسرع بإرسال ابنه

[1] عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور "أردو" ، لاهور ، 1976م ، ص 55 .

[2] نور أحمد جشتى ، تحقيقات جشتى ، ص 770 .

[3] Nadiem , Ihsan , Historic mosques of Lahore , Lahore , 1998 , p 90 .

الأكبر إلى الامبراطور مصحوبا بهدايا قيمة ففرح شاه جهان بذلك ، وأمر وزير خان بالرجوع ومنحه لقب " وزير خان " [1] .

وفى سنة 1041هـ / 1632م عين وزير خان حاكما على إقليم البنجاب ، واستمر فى هذا المنصب لمدة سبع سنوات1041- 1048هـ / 1632- 1639م [2] ، وفى أيامه حكمه شهدت لاهور أزهى عصورها وأصبحت مسكنا للعلماء وطلاب العلم والأدباء والشعراء .

وفى العام الرابع عشر من عهد شاه جهان أى فى سنة 1050هـ / 1640م أمر شاه جهان بتعيين وزير خان حاكما على إقليم " أكبرآباد " بالهند للمرة الثانية ، غير أن وزير خان لم يعمر فى هذا المنصب أكثر من عشرة أشهر [3] ، إذ أدركته المنية فى الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة 1051هـ /1641م بمدينة أكبر آباد بعد إصابته بمرض القولنج [4] .

لا يعرف المكان الذى دفن فيه وزير خان على وجه التأكيد ، ولا يوجد ضريح مشهور له ، غير أن كلا من المحقق أصغر آمرتسرى ومحمد عارف جوغتائى أشارا إلى أن وزير خان وزوجته قد دفنا فى غرفة من غرف الباره درى " الجوسق " الذى بناه فى حديقته فى لاهور [5] ، إلا أنه لا يوجد دليل على صحة هذا الرأى .

ويتفق المؤرخون على أن وزير خان كان يتصف بصفات شخصية طيبة ، فذكروا أنه كان سليم الطباع حسن السيرة ، وكانت حياته

---

[1] راو جاويد إقبال ، المرجع السابق ، 267

[2] عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 55 ،

[3] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , in " lahore museum Bulletin " , Vol.V , No2 , 1992, p 57 .

[4] راو جاويد إقبال ، المرجع السابق ، 267 .

[5] راو جاويد إقبال ، المرجع نفسه ، 267 .

بسيطة لا تكلف فيها ، وكان يهتم بمصالح العامة من الناس ، تقى ورع صوام مواظب على صلاة التهجد ، وأنه طوال حياته ما صلى العصر بدون سنة ، وفيا للعهد [1]، وكان شغوفا بالعمارة فأنشأ مدينة باسمه فى إقليم البنجاب سماها " وزير آباد " ، وقد تطورت هذه المدينة الصغيرة فيما بعد وامتد عمرانها حتى أصبحت مدينة كبيرة جدا ، وتسمى الآن " كوجران واله " ، كما أنشأ ببلدته شينيوت مسجدا ضخما لا يزال قائما حتى اليوم ويعتبر من مفاخر العمارة فى العصر المغولى ، كما أحاط بلدته هذه بسور متين من الطوب[2] .

عمائر وزير خان بمدينة لاهور وأثرها فى التطور العمرانى للمدينة :

كان وزير خان مثل سيده الامبراطور شاه جهان محبا للتعمير والبناء ، وكانت له ملكة عجيبة فى تصميم المبانى ، وحسا فنيا عاليا ، وعينا تقدر الفنون الجميلة ، وقد اكتسب قدرا من الخبرة المعمارية بعد إشرافه على عدد من المبانى بقلعة لاهور بأمر من الامبراطور شاه جهان ، وقد زار الامبراطور هذه المبانى بنفسه ، وأثنى على جهود وزير خان ، كما قبل دعوة وجهها له وزير خان لزيارة القصر الجديد الذى بناه لنفسه فى لاهور [3] .

ازدهرت الحركة المعمارية فى لاهور على عهد وزير خان الذى كان على رأس المعمرين لهذه المدينة ، وقام بترصيعها بعدد من المبانى الجميلة تمثلت فى المسجد الكبير الذى حمل اسمه وثلاثة مساجد

[1] نور أحمد جشتى ، المرجع السابق ، ص 774 .

[2] عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 55.

[3] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan p 58 .
Latif , Syed , Op.cit . p52 .

صغيرة بالإضافة إلى سوق ضخم وحمام وحديقة بداخلها باره درى [1] " جوسق " فضلا عن مجموعة من القصور والبيوت .

ففى عام 1044هـ/1634م وقع اختيار وزير خان على منطقة فى شرق مدينة لاهور بالقرب من باب دلهى(شكل 1) أحد أبواب المدينة ليبنى عليها مسجده الكبير ، وهذه المنطقة كان يتوفر فيها مميزات متعددة فى ذلك الوقت ، فقد كانت ذات كثافة سكانية منخفضة ، ويتوفر فيها مساحات واسعة من الأراضى تسمح بتصميم مسجد كبير المساحة كان الأكبر من نوعه فى لاهور فى ذلك الوقت [2].

وفضلا عن ذلك فقد كانت تلك المنطقة مركزا صوفيا مقصودا بالزيارة إذ يحوى عددا من أضرحة الأولياء ومشايخ الصوفية الذين يحظون بالتبجيل والاحترام من سكان لاهور مثل ضريح سيد محمد اسحاق جازرونى وضريح سيد صوفى وضريح سيد سربلندى ، مما أضفى على هذه البقعة جوا من القدسية والإجلال [3] .

أراد وزير خان أن يجعل من هذا المكان مركزا حضريا جديدا يجتذب سكان لاهور ، خاصة وأن هذا الموقع تتوفر فيه المميزات السابقة التى تسمح بالتوسع والامتداد العمرانى للمدينة ناحية الشرق .

كان المشروع المعمارى الضخم الذى أعده وزير خان يتضمن مجمعا كبيرا " شكل 6 " يحتوى على مسجد جامع كان الأكبر من نوعه فى لاهور فى ذلك الوقت ، وأمام هذا المسجد يوجد سوق كبير

[1] سوف نفصل الحديث عن مفهوم الباره درى فى المبحث الخاص بـ " باره درى وزير خان " فى هذا البحث .

[2] The walled city of Lahore ,published by " Pakistan Environmental Planning & Architectural Consultants limited ' Lahore , 1993 , p 62 .

[3] The walled city of Lahore , p 64 .

يشغل المربع الذى يتقدم الواجهة الشرقية للمسجد" لوحات 1، 2 " ، وفى خارج هذا المجمع يوجد صف من الحوانيت والمنازل الموقوفة على المسجد ، تمتد من المسجد حتى باب دلهى ، بالإضافة إلى الحمام العام الذى يقع على مسافة قريبة من المسجد " شكل 1 ".

اكتمل بناء مجمع المسجد فى سنة 1045هـ / 1635م ولم يكن مكانا للصلاة فحسب ، بل كان كذلك مدرسة للعلوم الدينية ، إذ رتب فيه وزير خان اثنين من المدرسين ، وكان كذلك مكانا لالتقاء الكتاب والخطباء والشعراء وطلاب العلم ، ومركزا فنيا حيث اشتمل على عشرين دكانا تمارس فيها فنون الكتاب المختلفة طبقا لشرط الواقف وزير خان الذى نص على أن تخصص هذه الدكاكين للخطاطين والنساخين والمزوقين والمجلدين [1] .

ويتصل بالمسجد دار لإقامة للمسافرين والغرباء الذين يأتون إلى المدينة لزيارة المسجد وزيارة أضرحة الأولياء المحيطة به " لوحة 5 ".

كما أصبحت تلك المنطقة تمثل أكبر مركز تجارى فى المدينة القديمة بفضل السوق الكبير الذى أنشأه وزير خان أمام المسجد ، وهو عبارة عن فناء كبير مربع الشكل تحيط به الحوانيت والمبانى التى تعلوها من ثلاثة جهات ، أما الجهة الرابعة ففيها الواجهة الرئيسة للمسجد " الواجهة الشرقية " .

[1] انظر حجة وقف وزير خان على مسجده الكبير بلاهور ، الملحق رقم (1)

واكتملت هذه المنظومة المعمارية الرائعة ببناء حمام عام على مسافة قصيرة من المسجد بجوار باب دلهى ، وجعله وزير خان من ضمن أوقاف المسجد [1] .

كان لهذه المجموعة من المبانى التى بناها وزير خان أثر فعال فى نمو مدينة لاهور ناحية الشرق ، وسرعان ما أصبحت تلك المنطقة مركزا للأنشطة الدينية والاجتماعية والتجارية فى المدينة ، فبدأت تظهر المبانى الفخمة حول المسجد ، وأخذ العديد من الأمراء والأثرياء يبنون قصورهم هناك ، واستمر العمران فى هذه المنطقة بدون انقطاع حتى وصول الاحتلال البريطانى فى سنة 1265هـ / 1849م [2] .

لم تقتصر منشآت وزير خان الدينية على المسجد الكبير فهناك على الأقل ثلاثة مساجد صغيرة تنسب عمارتها إلى وزير خان وهى :

- **مسجد محلة ساثان** : موقعه بالقرب من باب تكسلا فى سوق ساميان Samian Bazar ، بناه وزير خان فى حوالى سنة 1046هـ / 1636م ، وكان فى الأصل جزء من مجمع قصوره التى بناها فى هذا المكان ، وكان مخصصا كمصلى للحريم ، ويتوصل إليه من جناح الحريم [3] ، وقد جدد هذا المسجد كلية فى السنوات الأخيرة وكان يتألف من قاعة للصلاة مستطيلة الشكل 12م × 6 م تشتمل على رواقين [4] .
- **مسجد بارى محل** : يقع فى منطقة بارى محل Pari Mahal فى شارع شاه عالم ماركت ، وكان المسجد يتألف من طابقين ، الأرضى يشغله

[1] انظر حجة الوقف فى الملحق رقم 1

[2] The walled city of Lahore ,p 62 .

[3] كنهيا لال ، المرجع السابق ، ص 146 ، عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 66 .

[4] Nadiem , Ihsan , Historic mosques of Lahore , P103 .

مجموعة من الحوانيت ، كما كان يشتمل على مئذنتين [1] ، وفى عام1317هـ / 1899م أعيد بناء المسجد كلية على يد رجل اسمه ميان سراج الدين ، طبقا لما جاء فى نص تجديد مؤرخ بذلك العام [2] ، وحين زرت هذا المسجد وجدته قد هدم وحل مكانه مسجد حديث تحت اسم " لال مسجد " .

- **مسجد قصاب خانه والى** ، ويعرف اختصارا أيضا باسم " مسجد قصابيان " يقع بالقرب من باب دلهى داخل محلة جنكر Changar Mohallah ، ويقول كنهيا لال أن " هذا المسجد يعود إلى وزير خان وعمارته قوية جدا وعلى سقف قبة واحدة ، ومن مائة سنة ما جدد " [3] ، وقد تعرض هذا المسجد للتجديد فى أوائل هذا القرن ، ولم يبق منه شئ قديم .

عمائر وزير خان فى منطقة بارى محل بلاهور: بارى تعنى الجميلة جدا ، وهى منطقة تقع داخل باب شاه عالمى أحد أبواب المدينة ، فى هذه المنطقة بنى وزير خان حديقة اسمها " حديقة الأرم " فيها مكان يقال له " بارى محل " ، وبنى فيها مكتبة بعد ذلك ، وفى هذه المنطقة بنى أيضا " حويلى " [4] وهو عبارة عن مساحة كبيرة محاطة بسور تضم داخلها مجموعة من البيوت جعل فيها قاعات للرجال وأخرى للنساء ، وتضم أيضا مرافق وملاحق متعددة ، وفى عهد السيخ هدمت هذه المبانى وبيعت أحجارها ، وحل محلها ميدان عام [5] .

---

[1] كنهيا لال ، تاريخ لاهور ، ص 154 .

[2] Nadiem , Ihsan , Op-cit , p 104 .

[3] كنهيا لال ، المرجع السابق ، ص 171 ، عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 98 .

[4] نور احمد جشتى ، المرجع السابق ، ص 785 ، والحويلى كلمة هندية مأخوذة من الفارسية ، تطلق على مجمع من المبانى محاط بسور ، وله بوابة ضخمة ، ويتوسطه فناء أو أكثر ، وبه أماكن للسكن وأماكن للدواب ، ومزود بالمرافق المختلفة .
The walled city of Lahore , p 143 .

[5] كنهيا لال ، المرجع السابق ، ص 340 .

هذه العمائر السابقة الذكر كلها تقع داخل أسوار مدينة لاهور القديمة ، أما خارج أسوار المدينة فقد أنشأ وزير خان حديقة واسعة زرع فيها أشجار النخيل لذا سميت باسم " نخلة وزير خان " أو " نخلستان وزير خان " [1] ، وفى وسط هذه الحديقة بنى وزير خان بناية جميلة يطلق عليها اسم " باره درى وزير خان " وهى كل ما تبقى من هذه الحديقة .

وسوف نتناول فى الصفحات التالية العمائر الباقية التى أنشأها وزير خان فى مدينة لاهور والتى تتمثل فى أربعة عمائر هى :

1- مسجد وزير خان بالقرب من باب دلهى .
2- بقايا سوق وزير خان أمام المسجد المذكور .
3- حمام وزير خان بجوار باب دلهى .
4- باره درى وزير خان " يشغله حاليا مقر مكتبة البنجاب العامة " .

مسجد وزير خان

الموقع : يقع داخل أسوار مدينة لاهور القديمة فى الجهة الشرقية ، بالقرب من باب دلهى ، فى شارع يعرف باسم شارع سوق كشمير "شكل 1" .

أصل المكان : أنشئ المسجد فى موضع خانقاة " دارغاه " Dargah قديمة تنسب إلى الشيخ الصوفى سيد محمد إسحاق جازرونى " نسبة إلى جزرون Gazrun فى إيران " الذى وفد إلى لاهور فى أيام أسرة التغلقيين ، وتوفى سنة 786هـ /1384م ، وفى عهد اللوديين أنشأ الأمير نادر خان مجمع من المبانى يسمى " حويلى " وضم بناء الضريح داخل سور هذا المجمع ، وقد أزيلت كل هذه المبانى عند إقامة مسجد وزير خان فيما عدا الضريح الذى ضم فى مساحة المسجد [2].

---

[1] Latif , Syed , op.cit , p 188 .
محمد إقبال بهته ، بنجاب كى آثار قديمة - أردو - ، لاهور 2007م ، ص 30 .
[2] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 57.

تاريخ الإنشاء : طبقا للكتابات الموجودة على البوابة الشرقية للمسجد ، وعلى واجهة قاعة الصلاة فإن بناء المسجد قد بدأ فى سنة 1044هـ/1634م " لوحة 11" ، وانتهى فى سنة 1045هـ/1635م .

مهندس المسجد : لا يوجد فى المسجد أى نص كتابى يشير إلى اسم المهندس ، كذلك لا توجد أى إشارة تاريخية عنه ، وتجدر الإشارة إلى أن الفترة التى بنى فيها المسجد كان يوجد فى لاهور أربعة مهندسين مشهورين وهم عبد الكريم الملقب ب " معمور خان " [1] و أحمد اللاهورى وعلى مردان خان ومولى علاء الملك تونى [2] .

وقد استبعد كامل خان ممتاز أن يكون أى من هؤلاء المهندسين الأربعة قد قام بوضع تصميم المسجد ، لعدم توفر أى دليل مادي أو تاريخي على وجود أى صلة لهؤلاء المهندسين بهذا المسجد ، ورجح أن يكون مهندس المسجد هو أمانت خان الشيرازى خطاط ضريح تاج محل ، والأخ الأكبر لأفضل خان وزير شاه جهان ، وأيد رأيه بوجود سمات معمارية مشتركة بين هذا المسجد وبين سراى أمانت خان التي توجد فى مدينة أمرتسار Amritsar بالقرب من لاهور [3] ، والحقيقة أننى لست متفقا مع هذا الرأى فكل ما نعرفه عن أمانت خان أنه كان خطاطا بارعا فحسب ، ولم نعثر على أى دليل يشير إلى أنه كان مهندسا ، وإذا كان مهندسا لماذا لم يكلفه شاه جهان بإنشاءات تاج محل ، وكلف بها مهندسا آخر هو عبد الكريم معمور خان ، بينما كلف أمانت خان بتنفيذ الكتابات فقط .

---

[1] Ahmed , Zulfiqar ,The master-builder of the Lahore palace , in " Notes on punjab and Mughal India , Selected from Journal of the Punjab historical society " , lahore 2002 , pp 222 – 223.

[2] عبد الله جغتائى ، مسجد وزير خان ، أوردو ، لاهور ، 1975م ص ص 25 ، 26 .

[3] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 58 .

ومع هذا يبقى مهندس هذا الجامع لغزا محيرا ينتظر دليلا قويا يميط اللثام عن شخصيته ، وبدون شك فإن مشروعا معماريا بضخامة وأهمية هذا المسجد لابد أن يكون قد قام به أحد جهابذة المهندسين فى ذلك الوقت .

صناع الفسيفساء الخزفية :

استخدم فى هذا المسجد أكبر كمية من الفسيفساء الخزفية تستخدم فى مساجد شبه القارة الهندية ، وقد اختلفت الآراء حول شخصية الصناع الذين نفذوا أعمال الفسيفساء الخزفية فى هذا المسجد ، فكانت هناك أسطورة محلية تقول أن هؤلاء الصناع كانوا من الصين وأنهم أرسلوا سريعا من الصين لتنفيذ هذا العمل ، لكن لا يوجد فى هذه الرسوم أى أثر للأسلوب الصينى سواء فى التصميمات أو فى طريقة التنفيذ ، ويرى نذير شودرى Nazir Chaudhry أن الأسلوب الإيراني واضح تماما في هذه الأعمال [1] .

الخطاطون :

اشترك فى تنفيذ كتابات هذا المسجد أربعة خطاطين هم حاجى يوسف كشميرى ومحمد على كاتب ومحمد شريف وملا حسين .

والخطاط حاجى يوسف كشميرى يوجد توقيعه فى نهاية شريط مستطيل يتضمن كتابة قرآنية فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من واجهة قاعة الصلاة المطلة على الصحن ، بصيغة " كتبه حاجى يوسف كشميرى غفر الله له سنة 1044 " " لوحة 11 ".

[1] Chaudhry , Nazir , A`short history of lahore and some of its monuments , Lahore 2000 , P 93 .

وقد ذكر الدكتور عبد الله جغتائى أن يوسف كشميرى كان من مؤذنى المسجد ، وأنه كان من مريدى الشيخ أحمد سرهندى ، كما كان له ثلاثة أبناء كلهم خطاطون وهم محمد زمانى وعبد الكريم ومحمد صالح [1] .

أما الخطاط محمد على فقد ورد توقيعه على لوحة من الفسيفساء الخزفية على يسار المدخل الرئيس للمسجد بصيغة " كتبه محمد على " ، وهو من الخطاطين المشهورين فى عهد شاه جهان ، وذكره دارا شيكوه فى كتابه " سكينة الأولياء " وقال أن محمد على بن الشيخ حسن السرهندى خطاط ماهر ، وكان رجلا صوفيا تربى على يد حضرة ميان مير صاحب [2].

والخطاط الثالث وهو محمد شريف يوجد توقيعه تحت آية الكرسى المنفذة بالفسيفساء الخزفية أعلى المدخل الأوسط لقاعة الصلاة بصيغة " كتبه محمد شريف " ، وهو من تلاميذ الخطاط عبد الله الحسينى الملقب بـ " مشكين لقب " ، كان بارعا فى خط النستعليق ، ولقب بـ " كاتب السلطانى " ، وتوفى فى سنة 1054هـ/1644م [3] .

والخطاط الرابع وهو " ملا حسين " يوجد اسمه فى نهاية سورة الحشر المنفذة بالتلوين فى نهاية الشريط الكتابى الذى يلتف حول المساحة المربعة التى تتقدم المحراب الرئيس للمسجد ، ويقول عبد الله جغتائى أنه لا يوجد خطاط مشهور بهذا الاسم ، إلا أنه فى عهد جهانكير كان هناك عالم دين اسمه " ملا حسين حجراتى " ذكره محمد شريف فى كتاب " إقبال نامه جهانكيرى " ربما كان هو هذا الخطاط [4]

---

[1] عبد الله جغتائى مسجد وزير خان ، ص 54 ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 60 .

[2] عبد الله جغتائى ، تاريخى مساجد لاهور ، ص 58.

[3] عبد الله جغتائى ، مسجد وزير خان ، ص 54 .

[4] عبد الله جغتائى ، مسجد وزير خان ، ص 55 .

التخطيط العام :" **شكل** 2 "

يشغل المسجد مساحة مستطيلة (84,85م ×47,70م) تمتد من الشرق إلى الغرب ، ويقف المسجد على مصطبة مرتفعة ، ويتم الدخول إليه من خلال مدخل مهيب فى الواجهة الشرقية " لوحة 3 " يؤدى إلى مساحة انتقالية على هيئة ممر مستطيل على جانبيه مجموعة من الحجرات " لوحة 5 " عددها ثمانية عشر حجرة ، ويتوسط الممر مثمن مركزى مغطى بقبة ، فى ضلعه الغربى باب يوصل إلى داخل المسجد .

وتخطيط المسجد من الداخل يتألف من صحن مكشوف مستطيل (49,40م × 39,70م) بوسطه حوض للوضوء " لوحة 8 "، ويشغل الضلع الغربى قاعة الصلاة " لوحة 9 " المكونة من رواق واحد مقسم إلى خمسة أقسام يغطيها خمسة قباب ، أما الثلاثة أضلاع الأخرى المحيطة بالصحن فيشغلها صف من الحجرات المفتوحة على الصحن يبلغ مجموعها ثلاثون حجرة ، وفى الأركان الأربعة للصحن توجد أربعة مآذن مثمنة .

الواجهات :

يشتمل المسجد على واجهتين ، واجهة شرقية وهى الرئيسة وفيها المدخل الرئيس للمسجد ، وواجهة شمالية وتضم المدخل الجانبى .

الواجهة الرئيسة (الشرقية) : تمتد لمسافة 47م ، ويتوسطها بوابة الدخول الرئيسة " لوحة 3 " ، وقسمت الواجهة على جانبى بوابة الدخول إلى خمسة دخلات رأسية متوجة بعقود مدببة ، وفى المستوى السفلى توجد خمسة حوانيت ، تشرف على الخارج بفتحات ذات عقود مدببة ، ويغطى كل حانوت قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية .

وفى المستوى العلوى من الواجهة فتحت نوافذ صغيرة ، تمثل حجرات سراى المسافرين الملحقة بالمسجد .

ويتوج الواجهة من أعلى صف من الشرافات على شكل يشبه حدوة الفرس يتوسطها شكل صليبى .

وتظهر الصور القديمة التى رسمها بعض الرحالة للمسجد " لوحات 1، 2 " أن حوانيت هذه الواجهة كان يتقدمها سقيفة خشبية مائلة تعتمد على أعمدة من الخشب ، للوقاية من الحر والمطر [1] .

البوابة الرئيسة :" لوحة 3 " تبدو هذه البوابة على هيئة صرح مهيب شاهق الارتفاع ، وهى تعد تحفة فنية ومعمارية فى حد ذاتها ، كما تشكل مع بوابة مسجد بادشاه أهم مداخل المساجد المغولية فى لاهور ، حيث كسيت سطوح الجدران بالكامل بزخارف الفسيفساء الخزفية ورسوم الفريسكو.

[1] Aijazuddin , F.S , Lahore , illustrated views of the 19 th century , Lahore , 2004 , pl 57 - p 106 , pl 59 – p 108 , pl 60 – p 110 , pl 61 – p 111 .

تبرز البوابة عن جدار الواجهة بمقدار 68 سم ، يتوسطها تجويف المدخل الذى يبلغ اتساعه 6,40م ، وعمقه حوالى 4م ، يتقدمه سلم من خمس درجات [1] ، ويغطى تجويف المدخل نصف قبة مزخرفة بزخارف جصية هندسية متشابكة معروفة باسم " غالب كارى " أسفلها ثلاثة نوافذ معقودة .

وعلى جانبى فتحة المدخل توجد شرفة بارزة محمولة على كوابيل حجرية ، وعلى واجهتها أربعة أعمدة رخامية .

وفى زاويتى كتلة المدخل عمودين مدمجين مثمنى الشكل ، قطر كل منهما 51 سم ، وهما من الطوب المكسو بالفسيفساء الخزفية على شكل زخارف زجزاجية " دالات " .

ويلفت الانتباه ذلك الثراء الزخرفى والتنوع الكبير فى التصميمات الزخرفية لهذا المدخل ، حيث غطيت الواجهة بالكامل بزخارف الفسيفساء الخزفية ذات الألوان المتعددة ، على هيئة زخارف نباتية وكتابية وهندسية محصورة داخل مناطق مستطيلة ومربعة ومفصصة ، فى حين نفذت زخارف حجر المدخل بأسلوب الفرسكو ، ولعل السبب فى هذا أن زخارف الفسيفساء على الواجهة تتحمل الأمطار والحرارة الشديدة على عكس الفريسكو الذى تؤثر الأمطار والحرارة على الألوان المستخدمة فيه ، ومن ثم استخدم فى الأماكن المغطاة .

وأول ما يجذب الانتباه فى هذه البوابة تلك الكتابة التى تتوج الواجهة من أعلى ، والتى كتبت بخط النستعليق بحجم غير عادى ،

[1] يظهر من الصور القديمة أن عدد درجات سلم المدخل كان أكثر من هذا بكثير ، لكن الأرضية الحالية أمام البوابة ارتفعت بمقدار متر تقريبا عن الأرضية الأصلية .

باللون الأزرق الكوبالتى وتتضمن " الكلمة الطيبة " وهى " أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وتحت كلمة " أفضل " يوجد تاريخ سنة 1045هـ

وبالإضافة إلى هذه الكتابة تشتمل كتلة المدخل على ستة لوحات باللغة الفارسية بخط النستعليق ، اثنتين منهم داخل مناطق معقودة على جانبى المدخل من أسفل ، والأربعة الأخرى داخل مناطق مستطيلة على جانبى المدخل من أعلى ، واللوحة المعقودة على يسار المدخل تتضمن فى نهايتها اسم الخطاط " محمد على " .

الواجهة الشمالية :

تطل هذه الواجهة على سوق شعبى مزدحم يسمى " شارع سوق كشمير " ، وتمتد لمسافة 85 م تقريبا ، وتشتمل على ثلاثة عشر دخلة معقودة بعقد مدبب ، تضم حوانيت فى المستوى السفلى ونوافذ فى المستوى العلوى ، وقد قام الأهالى ببناء واحد وثلاثون دكانا حديثا أمام الواجهة حجبت الجزء السفلى منها ، وتشغل قاعدة المئذنة الشمالية الغربية جزء من هذه الواجهة ، وتوجد كتلتان متميزتان من المبانى فى هذه الواجهة إحداهما فى الوسط والأخرى فى الطرف الغربى ، ففى وسط الواجهة يوجد المدخل الجانبى " لوحة 4 "على هيئة مدخل بارز يتوسطه فتحة معقودة بعقد مدبب ، ويغطى حجر المدخل نصف قبة مزخرفة بزخارف هندسية من الجص " غالب كارى " ، ويعلو فتحة المدخل شريط كتابى يشتمل على حديث شريف يحث على فضل بناء المساجد [1] " ، وفى طرف الواجهة توجد كتلة بارزة من المبانى تضم ثلاثة

[1] نص الحديث " قال عليه السلام من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة قال عليه السلام التوفيق شئ عزيز لا يعطى إلا لعبد عزيز "

فتحات معقودة فى الطابق الأرضى تعلوها ثلاثة مماثلة فى الطابق الثانى ، وتفتح هذه الفتحات على قاعة جانبية مرتبطة بقاعة الصلاة .

ويزخرف كلا الكتلتين لوحات من الفسيفساء الخزفية على هيئة زخارف نجمية ورسوم أشجار وزهريات بها باقات من الزهور ، أما حجر المدخل فيضم زخارف مماثلة لكنها منفذة بطريقة الفريسكو .

المسجد من الداخل :

دار الإقامة : " شكل 1 ، لوحة 5 "

يؤدى المدخل الرئيس للمسجد إلى مساحة انتقالية تفصل بين بوابة الدخول والصحن ، والتى تعتبر منقطعة النظير فى مساجد شبه القارة الهندية ، وهى عبارة عن ممر مكشوف مستطيل الشكل يمتد من الشمال إلى الجنوب ، يبلغ طوله حوالى 40م تقريبا ، وعرضه حوالى 4م ، ويتوسطه دهليز مثمن الشكل مغطى بقبة ، وبأركان المثمن أربعة حجرات صغيرة ربما كانت مخصصة لسكن الحراس .

وعلى جانبى هذا الممر مجموعة من الحجرات يبلغ عددها ثمانية عشر حجرة موزعة بواقع عشر حجرات فى الجانب الشرقى ، وثمانية فى الجانب الغربى ، ويتقدم هذه الحجرات سقيفة ترتفع أرضيتها عن أرضية الممر بحوالى 50 سم ، وتطل على الممر من خلال فتحات معقودة بعقود مفصصة ، وفى طرفى الممر مدخل معقود يفتح على الخارج ويعلوه شرفة تشرف على الممر ببائكة من ثلاثة عقود مفصصة .

وقد اختلفت الآراء فى تفسير وظيفة هذه الحجرات ، فيرى الأستاذ الدكتور عبد القادر الريحاوى أن هذا الممر والغرف على جانبيه

هو عبارة عن " سوق مسقوف تتوزع الدكاكين على جانبيه " [1] ، أما عبد الله جغتائى فيرى أن هذا البناء لا يوجد له مثيل فى العمارة الإسلامية ، ويعتقد أن الغرض منه هو إقامة العلماء والمدرسين والطلبة والعمال العاملين فى المسجد [2] .

والحقيقة أن كلا الرأيين يحتاجان إلى مناقشة ، إذ ما الداعى إلى إنشاء سوق فى هذا المكان وهناك سوق كبير يشغل المربع الذى يقع أمام المسجد مباشرة ، وكان هذا السوق أكبر مركز تجارى فى لاهور فى ذلك الوقت ، كذلك فإن إقامة المدرسين والطلبة كانت فى الحجرات المحيطة بالصحن ، ولم تكن فى هذه الحجرات على جانبى الممر.

لكننا إذا أمعنا النظر فى وثيقة وقف وزير خان " ملحق 1 " نجدها تذكر السراى ضمن الأوقاف التى يخصص ريعها للمسجد ، وإذا وضعنا فى الاعتبار أن أهل هذه البلاد يطلقون كلمة " سراى " على دار الضيافة المخصصة لإقامة المسافرين ، كل هذا يجعلنى أميل إلى القول بأن هذا الجزء من المبنى كان يستخدم سراى لإقامة المسافرين الذين يأتون إلى لاهور سواء للتجارة أو لزيارة أضرحة الأولياء المحيطة بالمسجد ، حيث ينزلون فى هذه السراى ، ويستريحون هناك ويستمتعون بمشاهدة جمال وعظمة المسجد والمنطقة المحيطة به ، ويصلون فى أضرحة الأولياء القريبة منه .

[1] عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة ، 1990م ، ص 571.

[2] عبد الله جغتائى ، مسجد وزير خان ، ص 30.

الدهليز المثمن وسط الممر :

يتوسط الممر المذكور دهليز على هيئة مثمن مركزى متوج بقبة كبيرة من الطوب قطرها 9,45 م مزخرفة بأشكال دالية، فتح فى أضلاعه الرئيسة الأربعة أربعة فتحات معقودة ، وفى الأركان الأربعة للمثمن توجد أربعة حجرات صغيرة مزدوجة داخلية وخارجية .

والطابق الثانى فى هذا الدهليز يأخذ أيضا الشكل المثمن ، ولكن يحل محل الحجرات الركنية الأربعة أربعة دخلات صغيرة ، بينما يحل محل الفتحات المعقودة أربعة دخلات عميقة على شكل إيوانات يغطى كل منها نصف قبة مزخرفة بزخارف جصية هندسية " غالب كارى " ، ويزخرف الجزء العلوى من جدرانها مناطق زخرفية بها رسوم أطباق فاكهة وأباريق من النبيذ وأشجار سرو " لوحة 6 " ، والدخلة الشرقية تشتمل على ثلاثة مداخل معقودة تفتح على واجهة المسجد ، أما الدخلة الغربية فتطل على صحن المسجد.

الصحن :

ذكرنا من قبل أن المسجد يتألف من صحن مكشوف وقاعة للصلاة وحجرات تحيط بالصحن من ثلاثة جهات " لوحة 8 ".

ويتميز صحن المسجد باتساع مساحته ، حيث يأخذ شكلا مستطيلا (49,40م × 39,70م) ، فرشت أرضيته بالطوب الآجر الصغير الحجم ، وفى وسط الصحن توجد الميضأة على شكل حوض مربع من الرخام (10,72م ×10,57م) ، لا يعلوه أية قبة كما هى العادة فى مساجد لاهور

وفى الضلع الجنوبى الغربى من الصحن يوجد ضريح الشيخ سيد إسحاق جازرونى ، وهذا الضريح كان موجودا قبل إنشاء المسجد ، ويوجد قبره أسفل أرضية الصحن ويهبط إليه بمجموعة من درجات السلالم .

الحجرات المحيطة بالصحن :" **لوحة** 8"

يحيط بالصحن من ثلاثة جهات " الشمال والجنوب والشرق " صف من الحجرات يبلغ عددها ثلاثون حجرة ، منها ستة حجرات فى الجانب الشرقى ، واثنتى عشرة حجرة فى الجانب الشمالى ومثلها فى الجانب الجنوبى ، وتفتح هذه الحجرات على الصحن من خلال باب خشبى ذو مصراعين ، وجميع الحجرات على الجانبين متطابقة فى المساحة فيما عدا الحجرتين اللتين تقعا فى الطرف الغربى على جانبى الصحن فهما أكبر مساحة ولكل منهما بابين .

ويتوسط الحجرات فى الضلعين الشمالى والجنوبى مدخل مرتفع عن بقية جدران الحجرات يبلغ اتساعه 8,90م يفتح على الصحن بمدخل معقود ، على جانبيه بابين يوصلان إلى سلم موصل للسطح . وجدران هذا المدخل مزخرفة من الخارج بلوحات من الفسيفساء الخزفية ذات زخارف نباتية وهندسية ، أما من الداخل فمزخرفة بدخلات مصمتة تضم باقات من الزهور وأشجار النخيل وأشجار السرو منفذة بطريقة الفريسكو .

أما حجرات الضلع الشرقى فيتوسطها كتلة المدخل الداخلى للمسجد ، وهو عبارة عن صرح مرتفع على جانبيه برجين مربعين ينتهى كل منهما بقبة محمولة على أعمدة رخامية ، ويعلو المدخل المعقود لوحة رائعة من الفسيفساء الخزفية تتضمن كتابة بخط النستعليق باللغة الفارسية " لوحة 7 " .

قاعة الصلاة :

تقع قاعة الصلاة فى الضلع الغربى من المسجد " شكل 2 "، وتتألف من رواق واحد مستطيل الشكل (39م ×12م) يشرف على الصحن بخمسة فتحات معقودة" لوحة 9 " ، أكبرها الفتحة الوسطى ، وقاعة الصلاة مقسمة عن طريق دعامات ضخمة إلى خمسة مربعات مغطاة بخمسة قباب مقامة على مثلثات كروية أكبرها القبة الوسطى التى ترتفع بمقدار 9,50م فى حين ترتفع القباب الأخرى 6,30م .

وبجدار القبلة خمسة محاريب أكبرها المحراب الأوسط (اتساعه 1,70م وعمقه 1م وارتفاعه 2,45م " لوحة 15 "، أما المحاريب الأربعة الأخرى فهى أقل اتساعا وعمقا وارتفاعا (اتساعها 1,48م وعمقها 90 سم وارتفاعها 2,10م)، وقد وضعت هذه المحاريب داخل دخلات عميقة يزخرف الجزء العلوى منها زخارف هندسية جصية معروفة باسم " غالب كارى " يتخللها زخارف نباتية منفذة بالفريسكو ، أسفلها يوجد صف من الحنايا المعقودة تضم كتابات دينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية مأثورة " لوحات 17 ، 18 "، وفى وسط كل دخلة توجد المحاريب المذكورة يحيط بكل منها شريط من الكتابات يتضمن بعض أسماء الله الحسنى محصورة داخل مناطق على شكل الشرافات.

وقد زخرفت جدران قاعة الصلاة " لوحة 14 " بكاملها من الأرض حتى السقف بما فى ذلك الدعامات الفاصلة بين الأقسام الخمسة لقاعة الصلاة ، زخرفت كلها برسوم الفريسكو على هيئة لوحات زخرفية مربعة ومستطيلة تحوى داخلها رسوم زخارف نباتية من الزهريات الممتلئة بباقات الزهور ، ورسوم الأشجار العتيقة التى تحيط بها السحب والغيوم "

لوحة 16 " ، والأشجار المثمرة والشجيرات والفروع النباتية ، فضلا عن الزخارف الهندسية المتنوعة .

وعلى جانبى قاعة الصلاة توجد حجرتان صغيرتان (2,55م ×2,30م) يغطي كل منهما قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، تفتح على قاعة الصلاة من خلال فتحة معقودة بعقد مدبب ، ويعتقد كامل خان ممتاز أن هاتين الحجرتين على جانبى قاعة الصلاة كانتا تستخدمان كمكتبة ملحقة بالمسجد [1] .

والحجرة الجنوبية يتصل بها حجرة أخرى صغيرة بها السلم الموصل للمئذنة ، أما الحجرة الشمالية فتشرف على شارع سوق كشمير من خلال ثلاثة فتحات معقودة فى الطابقين الأول والثانى .

المنبر : " لوحة 15 "

المنبر الأصلى للمسجد مفقود منذ زمن بعيد ، والمنبر الحالى يعود إلى سنة 1899م ، أهداه للمسجد اللورد كورزن Lord Curisn الحاكم العام للهند حينما قام بزيارة المسجد فى تلك السنة ولم يجد فيه منبرا [2]، وعلى الجانب الجنوبى للمنبر كتابة باللغتين الأوردية والانجليزية تتضمن هذا الإهداء ، والمنبر مربع الشكل وقصير(ارتفاعه 118سم وعرضه 120سم) ومصنوع من خشب الجوز ، وله درجتى سلم ، ويزخرف جوانبه مناطق بيضاوية تحوى زخارف نباتية ذات مسحة أوربية منفذة بالحفر البارز .

[1] Mumtaz , Kamil khan , Op-cit , p 83 .

[2] عبد الله جفتائى ، مسجد وزير خان ، ص 68 .

المآذن :

يمتاز المسجد بوجود أربعة مآذن مثمنة تقع فى الأركان الأربعة للصحن ، وهذه المآذن تعتبر من أوائل الأمثلة لهذا النوع من المآذن المثمنة فى العمارة المغولية بالهند [1] ، يبلغ ارتفاع كل منها حوالى 32م تقريبا ، وتتألف من ثلاثة أجزاء ، القاعدة المربعة ، البدن المثمن ، الجوسق المنتهى بقبة .

ويزخرف القاعدة المربعة للمئذنة لوحات من الفسيفساء الخزفية داخل مناطق معقودة ومستطيلة على شكل زهريات وأشجار ، وتنتهى القاعدة من أعلى بشرفة بارزة محمولة على كوابيل حجرية .

يعلو القاعدة طابق مثمن وهو أطول أجزاء المئذنة ، ويزخرف جوانبه لوحات من الفسيفساء الخزفية على هيئة زخارف نباتية من الفروع والأشجار والزهريات ، وقمة الطابق المثمن مزخرفة بأشجار سرو تتبادل مع شجرة منفذة بالفسيفساء الخزفية ، وينتهى هذا الطابق بشرفة مثمنة تحمل الجزء العلوى من المئذنة وهو على هيئة جوسق به ثمانية أعمدة من الآجر تحمل قبة مكسوة بالفسيفساء الخزفية أسفلها رفرف بارز مثمن الشكل.

وفى داخل كل مئذنة يوجد سلم حلزونى يتألف من ستة وستين درجة سلم يؤدى إلى سطح المسجد وإلى شرفات المئذنة .

[1] Khan , Muhammad Wali Ullah , Lahore , and its important monuments , p46 .

بقايا سوق وزير خان

يمثل سوق وزير خان جزءً مهما من المجمع ، وقد اكتمل هذا السوق مع مجمع المسجد فى سنة 1045هـ /1635م ، وكان يسمى فى أيام المغول باسم " جلو خانه " [1] ، ويشغل المساحة المربعة أمام الواجهة الشرقية للمسجد ، على شكل مربع تقريبا طوله من الشمال إلى الجنوب 53م وعرضه 47 م من الشرق للغرب [2] ، ومحاط بالمبانى من الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية ، أما الجهة الرابعة وهى الغربية فتفتح على الواجهة الشرقية للمسجد التى فيها الباب الرئيس للمسجد .

وقد أمكن من خلال الصور القديمة التى رسمت للمسجد خلال القرن التاسع عشر وضع تصور لشكل هذا السوق " شكل 6 " ، وخاصة تلك الصور التى رسمها كل من ديكنسون بروس Dickinson Bros فى سنة 1270هـ / 1854م ، ووليام كاربينتر William Carpenter فى نفس السنة " لوحة 2 "، ووليام سمبسون William Simpson فى سنتى1277هـ / 1860م و1281هـ / 1864م [3] " لوحة 1 "، والتى يظهر منها أن المبانى المحيطة بالفناء المربع للسوق كانت متطابقة تقريبا فكل منها يتألف من صف من الحوانيت يتألف كل منها من طابقين ، يتقدمها صف من الدخلات العميقة على شكل إيوانات على واجهتها عقود مدببة ، وكان لهذا السوق خمسة أبواب ، حيث يتوسط كل ضلع من الأضلاع الثلاثة باب ضخم بارتفاع طابقين ، يرجح عبد الله جغتائى

[1] Mumtaz . Kamil Khan , Architecture in Pakistan , p 83 .
[2] The walled city of Lahore , p 62 .
[3] Aijazuddin , F.S , Lahore , illustrated views of the 19 th century , Lahore , 2004 , pl 57 - p 106 , pl 59 – p 108 , pl 60 – p 110 , pl 61 – p 111 .

أن هذه الأبواب كانت تشبه الباب الرئيس للمسجد [1] ، وفى الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى يوجد البابين الآخرين .

وقد تبقى من هذه الأبواب الخمسة بابين فقط هما الموجودين فى الركن الشمالى الشرقى والركن الشمالى الغربى من السوق ، الباب الشمالى الشرقى يعرف باسم " شيتا دروازه "" لوحة 19 " ومعناها الباب الأبيض ، وقد فسرت هذه التسمية على أساس أن هذا الباب يخلو من أى نقش على عكس الأبواب الأخرى التى كانت مفعمة بالزخارف [2] .

أما الباب الشمالى الغربى فيلتصق بطرف الواجهة الشرقية للمسجد ، وقد بني البابين من الطوب الآجر الصغير الحجم ، وتخطيطهما متشابه إلى حد كبير ، عبارة عن مساحة مربعة فى الوسط على جانبيها إيوانين صغيرين يغطى كل منهما نصف قبة ، والاختلاف الوحيد بينهما فى أسلوب التغطية للمساحة الوسطى ، فهى مغطاة بقبة فى الباب الشمالى الشرقى ، وبقبو فى الباب الشمالي الغربي ، ولكل من البابين واجهتين معقودتين بعقد مدبب إحداهما تطل على داخل السوق والأخرى على الخارج .

وقد اشترط وزير خان " أن يخصص عشرين دكانا من الدكاكين خارج البوابة الشرقية وطوابقها العلوية للمشتغلين بنسخ وتجليد وبيع الكتب الإسلامية دون إيجار على سبيل الدوام " [3] .

---

[1] عبد الله جفتائى ، مسجد وزير خان ، ص 16 .

[2] عبد الله جفتائى ، مسجد وزير خان ، ص 15 .

[3] انظر نص الحجة فى الملحق رقم 1 .

ذهب كل من كتبوا عن هذا المسجد أن الدكاكين المخصصة لناسخى الكتب وبائعيها تقع فى الواجهة الشرقية للمسجد على جانبى البوابة [1] ، لكنى أرى أن دكاكين الكتب لم تكن تقع فى الواجهة الشرقية ، وإنما كانت تشكل جزءً من دكاكين السوق الواقع أمام المسجد ، وذلك لثلاثة اعتبارات الأول أننا إذا أمعنا النظر فى النص السابق نجده يوضح أن هذه الدكاكين " خارج البوابة الشرقية " وليس على جانبى البوابة ، والثانى أن عددها عشرون فى حين أن عدد دكاكين الواجهة الشرقية عشرة دكاكين فقط ، والثالث أنها تتألف من طابقين وهو ما ينطبق على دكاكين السوق بينما دكاكين الواجهة من طابق واحد .

وتظهر الصور القديمة بعض التحولات التى طرأت على هذا السوق أثناء حكم السيخ ، والتى تتمثل فى إضافة بنائين فى وسط فناء السوق ، عبارة عن قبتين متشابهتين فى التصميم " لوحة 1 " وذلك لأنهما بنيا فى نفس الفترة ، وكلاهما من الرخام الأبيض ، القبة الأولى تمثل الضريح الذى بنى على قبر الشيخ الصوفى سيد صوف الذى عاش فى نفس فترة سيد إسحاق كازرونى المدفون داخل مسجد وزير خان ، والثانية تمثل القبة التى بنيت فوق البئر التى بناها راجا دينهه ناث Raja Dina Nath فى سنة 1267هـ / 1851م [2]، وما تزال هذه القبة باقية حتى الآن أما القبة الأولى فقد بنى عليها مسجد جديد يقع أمام مسجد وزير خان .

[1] Latif , Syed , Op.cit , p 216 , The walled city of Lahore , p 62
[2] Aijazuddin , F.S , Op.cit , pp 110-111 .

باره دری وزیر خان

مفهوم الباره دری فی العمارة الإسلامية فی الهند

باره دری کلمة أوردية تتألف من مقطعين " باره " وتعنی اثنی عشر ، و " در " وتعنی باب ، فالمعنی الاجمالی اثنی عشر بابا ، تستخدم هذه الكلمة فی العمارة الإسلامية فی شبه القارة الهندية للدلالة علی نوع من المبانی يشبه الجوسق مفتوحة من جهاتها الأربعة ، وتشتمل فی الغالب علی أربعة واجهات متشابهة تشتمل علی اثنی عشر بابا بواقع ثلاثة أبواب فی كل جهة [1] ، ومع ذلك فقد وجدت بعض أمثلة لهذا النوع من المبانی لم تلتزم بهذا العدد من المداخل فاحتوی بعضها علی عدد أكثر أو أقل [2].

وكان الباره دری يشكل عنصرا أساسيا من مكونات الحدائق المغولية ، ووجدت أمثلة منه فی لاهور التی كان يطلق عليها " مدينة الحدائق " ، ويعتبر باره دری الأمير كمران بن الامبراطور بابر أقدم باره دری باق فی مدينة لاهور ، ويقع فی جزيرة فی نهر راوی علی بعد حوالی 2 كم من لاهور ، وتم بناؤه بين سنتی 936- 947هـ/ 1530م و 1540م [3] .

أما عن الغرض من إقامة هذا النوع من المبانی فی وسط الحدائق فهو الاستمتاع بمشاهدة مناظر الطبيعة المحيطة بها من أشجار وأزهار ونافورات وأحواض للمياه ، فضلا عن الاستمتاع بالنسيم العليل ، ويضيف أحد الباحثين سببا آخر وهو الاستمتاع بمشاهدة الأمطار عندما تهطل ، ففی شبه القارة الهندية وبخاصة فی إقليم البنجاب تسقط الأمطار لفترة

[1] Latif , Syed , Op.cit , p 188 .

[2] Kausar ,Sajjad & Brand , Michael , Shalamar garden Lahore , Department of archaeology and museums , ministry of culture , Pakistan , 1990 , p 32 .

[3] Khan , Muhammad Wali Ullah , Lahore , and its important monuments, p 6 .

قصيرة بعد صيف طويل شديد الحرارة ، ومن ثم كان المطر يجلب الفرح ويخلق جوا من الإثارة بين جميع الفئات العمرية [1] ، وكان الباره درى أحد وسائل الاستمتاع بهذا الجو المثير ، وفى كثير من الأحيان كانت الحفلات الموسيقية وحفلات الزواج ومجالس الشعراء تقام داخل هذه المبانى المفتوحة الجوانب فى أجواء شاعرية .

موقع باره درى وزير خان .

يقع فى شارع المكتبة Library Road بجوار متحف لاهور من الجهة الجنوبية ، ويشغله حاليا جزء من مكتبة البنجاب العامة .

أصل المبنى وتاريخ إنشائه :

يذكر المؤرخ محمد صالح كمبوه صاحب كتاب " شاهجهان نامه " أن وزير خان حين فرغ من بناء مسجده ، وجه اهتمامه إلى إنشاء حديقة جميلة خارج لاهور ، وبنى فى وسطها باره درى ، وسميت الحديقة " نخلة وزير خان " أو " نخلستان وزير خان " بسبب احتوائها على عدد كبير من أشجار النخيل [2] " لوحة 20 ".

وكانت هذه الحديقة من أجمل حدائق لاهور ، كما كانت تشغل مساحة هائلة من الأراضى ، ويكفى أن نعلم أن مكانها يشغله اليوم المساحة التى بنى عليها متحف لاهور ، والمبنى الجديد لمكتبة البنجاب العامة ، وجزء من سكرتارية إقليم البنجاب ، وجزء من المقر القديم لجامعة البنجاب ومبانى كلية الآداب [3] ، وقد اندثرت هذه الحديقة ولم يتبق منها سوى هذا الباره درى .

[1] Kausar ,Sajjad & Brand , Michael , Op.cit , p 32 .
[2] Nadim , Ihsan , Gardens of Mughal Lahore , Lahore 2005 , p 77 .
[3] Nadim , Ihsan , Gardens of Mughal Lahore , p 77 .

وقد اختلفت الآراء حول تاريخ إنشاء وزير خان لهذه الحديقة فبينما ذهب بعض الباحثين إلى أنها أنشئت فى سنة 1040هـ / 1630م [1] ، ذهب آخرون أن الإنشاء كان فى سنة 1045هـ 1635م [2] .

ونحن نرجح أن وزير خان لم ينشئ هذه الحديقة إنشاء جديدا ، وإنما أعاد تأهيل حديقة قديمة كانت توجد فى نفس هذه البقعة ، وبنى فى وسطها هذا الباره درى ، ودليلنا على هذا ما جاء فى كتاب سكينة الأولياء لدارا شيكوه حيث ذكر أنه كان يوجد فى هذا المكان بالتحديد حديقة تسمى حديقة مرتضى خان [3] ، وأرجح أيضا أن إنشاء الباره درى كان فى سنة 1045هـ /1635م اعتمادا على ما ذكره محمد صالح كمبوه أن وزير خان قد شرع فى إنشاء الباره درى بعد فراغه من بناء مسجده فى سنة 1045هـ / 1635م .

استخدامات المبنى على مر العصور :

ظل هذا الباره درى فى حالة استخدام دائم منذ إنشائه حتى اليوم ، وقد سبق أن أوضحنا استخدامه خلال عصر المغول ، وفى أواخر ذلك العصر كان يعقد بهذا المبنى احتفال سنوى للطرق الصوفية ، ولكن بعد دخول السيخ مدينة لاهور فى سنة 1214هـ/ 1799م انتقل هذا الاحتفال إلى ضريح " سخى سرور " [4] ، بعد أن اتخذ قائد السيخ رانجيت سينغ من هذا المبنى سكنا له ، ثم استخدمه السيخ للأغراض العسكرية حتى سنة 1265هـ / 1849م ، وهى السنة التى بدأ فيها الحكم

[1] Aijazuddin . F.S , Lahore recollected , An album , Lahore , 2008 , p115 .
[2] Latif , Syed , Op.cit , p 188 ,
[3] Nadim , Ihsan , Gardens of Mughal Lahore , p 77
[4] محمد إقبال بهته ، بنجاب كى آثار قديمة ، ص 30 .

الانجليزى لمدينة لاهور واستعمل الجيش الانجليزى الباره درى سكنا للجنود ، أما الحديقة فكانت معسكرا عموميا للجيش ، وفى فترة لاحقة اتخذ الانجليز من المبنى مكتبا لادارة المدينة ، ثم استعملوه مكتبا للبريد والتلغراف [1] ، ثم أصبح ضمن المبانى التابعة لمتحف لاهور ، وفى سنة 1301هـ/ 1884م أمر الحاكم الانجليزى سير تشارلس Sir Charles باتخاذ هذا المبنى مكتبة عمومية وظلت كذلك حتى اليوم [2] .

التخطيط العام : " **شكل** 3 "

الشكل العام للباره درى يتألف من مبنى مربع الشكل من طابقين ، فى أركانه أربعة أبراج ، وجوهر التخطيط الداخلى يعتمد على قاعة مركزية فى الوسط يغطيها قبة كبيرة ، ويحيط بتلك القاعة من الجهات الأربعة قاعة كبيرة مستطيلة ، بينما يشغل الأركان الأربعة للمبنى أربعة حجرات مثمنة ، يجاورها الأبراج الأربعة ، وتفتح كل أجزاء المبنى على بعضها .

المنصة " **المصطبة** " .

يقوم الباره درى على منصة مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها 120سم ، مبنية بالطوب الآجر صغير الحجم ، وبكل ضلع من أضلاعها زوجين من السلالم يوصلان إلى سطح المنصة .

الأحواض " **النافورات** " : " لوحة 23 "

يتقدم كل ضلع من أضلاع المبنى حوض كبير مستطيل الشكل ، يبلغ عرضه 6م وطوله7,50م ، ويتوسط أرضية كل حوض فوارة مضلعة

[1] محمد إقبال بهته ، المرجع السابق ، ص 30 ، منور جميل خان ، نقش بائى لاهور ، لاهور ، 2007م ، ص 243 .
[2] Nadim , Ihsan , Gardens of Mughal Lahore , p 77.

من الرخام الأحمر ، وكان الغرض من هذه الأحواض " النافورات " تلطيف جو الباره درى وإضفاء مظهر جمالى على الشكل العام للمبنى ، وقد بقيت ثلاثة من هذه الأحواض أما الرابع فيقوم عليه المبنى الجديد لمكتبة البنجاب العامة.

الواجهات :" لوحة 21 "

يشتمل الباره درى على أربعة واجهات متشابهة فى جميع التفاصيل ، إذ تشتمل كل واجهة على خمسة مداخل ، ثلاثة منها فى الوسط وواحد على اليمين ومثله على اليسار ، وتنقسم كل واجهة رأسيا إلى ثلاثة أقسام أكبرها القسم الأوسط الذى يشتمل على ثلاثة مداخل معقودة أكبرهم المدخل الأوسط ، ويشتمل هذا القسم فى الطابق الثانى على بائكة من ثلاثة عقود تعتمد على دعامات من الحجر مدمج بها أعمدة ، ويعلو البائكة رفرف حجرى بارز .

أما القسمان الأيمن والأيسر فهما متماثلان ، ويشتمل كل منهما فى الطابقين الأول والثانى على حنية كبيرة على واجهتها عقد مفصص ويغطيها نصف قبة مزخرفة بزخارف هندسية جصية " غالب كارى " ، وفى صدر كل حنية توجد ثلاثة أبواب مستطيلة.

وفى الزوايا الأربع للمبنى توجد أربعة أبراج مربعة تنتهى من أعلى بقبة تستند على أربعة دعامات وثمانية أعمدة ، وبكل برج باب من مصراعين من الخشب (180سم × 80 سم)يوصلان إلى الطابق الثانى وإلى السطح .

وقسمت السطوح الباقية من الواجهات إلى عدد من الدخلات المصمتة ، وبجوار كل برج مجرى لتصريف مياه المطر يتصل فى أعلى الواجهة بميزاب من الفخار ويمتد هذا المجرى على كامل ارتفاع الواجهة.

المبنى من الداخل :

القاعة المركزية الوسطى : " لوحة 22 "

يتوسط المبنى قاعة مركزية بارتفاع طابقين ، تتألف من مساحة مربعة فى الوسط يتعامد عليها أربعة إيوانات ، يغطى المساحة المربعة قبة كبيرة مقامة على مثلثات كروية ، بينما يغطى الإيوانات الأربعة أربعة أنصاف قباب ، وقد زخرفت القبة الكبيرة والأربعة أنصاف قباب بالزخارف الهندسية المعروفة باسم " غالب كارى " .

وفى صدر كل ايوان باب معقود بعقد مدبب يوصل إلى قاعة كبيرة مستطيلة تتقدم القاعة المركزية ، وزخرفت بواطن تلك العقود بنفس الأسلوب السابق " غالب كارى " ، ويعلو تلك العقود فى المستوى العلوى أربعة فتحات معقودة تطل كل منها على قاعة كبيرة تحيط بالقاعة المركزية من أعلى .

وجدران القاعة المركزية والإيوانات الأربعة قسمت إلى صفوف من الدخلات المصمتة بعضها مستطيلة وبعضها مربعة .

القاعات الأربع المحيطة بالقاعة المركزية :

يتقدم القاعة المركزية من الجهات الأربع أربعة قاعات مستطيلة يبلغ طول كل منها 7,55م وعرضها 2,45م ، وتفتح هذه القاعات على المداخل الثلاثة التى تتوسط الواجهات الأربعة ، جدران هذه القاعات خالية من الزخارف ومقسمة إلى دخلات مصمتة مستطيلة ومربعة .

الحجرات الأربعة المثمنة :

تؤدى المداخل الجانبية فى الواجهات الأربعة إلى أربعة حجرات مثمنة الشكل طول ضلع كل منها 1,68م ، يغطى كل حجرة قبة ضحلة مزخرفة بزخارف هندسية " غالب كارى "، وبكل منها أربعة أبواب ، وببعض جدران هذه الحجرات رسوم نباتية منفذة بالفريسكو قوامها رسوم زهريات وأشجار .

الطابق الثانى : " شكل 4 "

تخطيط الطابق العلوى يشبه إلى حد كبير تخطيط الطابق الأرضى ، فيما عدا القاعة المركزية الوسطى التى ترتفع بارتفاع طابقين ، كما أن القاعات الأربعة المحيطة بالقاعة المركزية " لوحة 24 " تطل على الخارج ببائكة من ثلاثة عقود تعتمد على دعامتين فى الوسط مدمج بهما أعمدة ، وفى الجدار المقابل توجد فتحة معقودة تشرف على القاعة المركزية ، وفى طرفى كل قاعة بابين أحدهما يوصل إلى الحجرة المثمنة والآخر يؤدى إلى داخل البرج .

حمام وزير خان

الموقع : يقع داخل باب دلهى أحد أبواب المدينة القديمة ، على يسار الداخل من هذا الباب مباشرة فى شارع يعرف باسم " شارع سوق كشمير Road Kashmiri Bazar .

تاريخ الإنشاء : لا يحمل الحمام أى نص كتابى يشير إلى تاريخ الإنشاء ، إلا أننا نرجح أن الحمام قد بنى قبل سنة 1051هـ /1641م ، وهو تاريخ كتابة حجة وقف وزير خان على مسجده ، إذ ورد ذكر هذا الحمام فى هذه الحجة ، وأكدت الوثيقة أن الحمام ملكية شخصية لوزير خان ، وأنه كان ضمن الأوقاف الموقوفة على المسجد [1] .

أهمية هذا الحمام : تكمن أهمية هذا الحمام فى أنه المثل الوحيد الباقى للحمامات العامة فى الفترة المغولية ، ليس فى مدينة لاهور فحسب بل فى جمهورية باكستان كلها ، إذ أن جميع الحمامات الباقية هى حمامات ملكية خاصة منها ثلاث حمامات فى قلعة لاهور وواحد فى حديقة شاليمار .

[1] انظر نص الحجة فى الملحق رقم 1

ويقول عبد الله جغتائى أن هذا الحمام هو أحد حمامين اثنين فقط من نوع " الحمامات العامة " الباقية فى شبه القارة الهندية ، والحمام الثانى هو الحمام العام فى مدينة فتح بورسكرى فى الهند الواقع إلى الجنوب من مسجد " أكبرى مسجد " [1] .

ويشير أيضا إلى أن فكرة الحمامات العامة لم تكن معروفة فى بلاد الهند قبل الإسلام ، والمسلمون هم الذين أدخلوا هذه الفكرة إلى بلاد الهند فى القرن 10هـ /16م ، ويقال أن الأمير عبد الرحيم خان خانان عندما دخل مدينة أحمد آباد عاصمة إقليم كوجرات فوجد أهلها يغتسلون فى أحواض عامة أمام الناس فأرسل إلى خراسان واستدعى محمد على كرك خراسانى وأمره ببناء حمام عام فى حديقة شاهى باغى [2] بمدينة أحمد آباد .

التخطيط العام : " شكل 5 "

يتألف الحمام من طابق واحد يغطى مساحة مستطيلة قدرها حوالى 1008 متر مربع تقريبا تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويتألف الحمام من كتلتين من المبانى يفصل بينهما ممر مستطيل .

والقسم الشمالى يرتفع عن القسم الجنوبى بحوالى متر تقريبا ، ويشتمل على القاعة الباردة للحمام " لوحة 26 "، وهى مثمنة الشكل يحيط بها عدد من القاعات الملحقة ، والقسم الجنوبي يحتوى على القاعتين الدافئة والساخنة ، وهذه الأخيرة تتميز بأنها مثمنة المسقط وملحق بها ثلاثة قاعات ، تشتمل القاعة الشرقية على ثلاثة " خلاوى " للاستحمام ، وفى الركن الجنوبى الغربى توجد حجرة صغيرة بصدرها محراب استخدمت كمصلى لمرتادى الحمام .

[1] عبد الله جغتائى ، مسجد وزير خان ، ص 14 .

[2] عبد الله جغتائى ، المرجع السابق ، ص 14 .

الواجهات :

للحمام أربعة واجهات مبنية بالطوب الآجر الصغير الحجم ، الواجهتان الجنوبية والغربية تطلان على فضاء داخلى تابع للحمام " لوحة 25 "، أما الواجهة الشمالية فتطل على شارع كشمير بازار ، وتمتد لمسافة 24م ، وتشتمل على صف من الدخلات المستطيلة واحدة كبيرة تتبادل مع أخرى صغيرة ، وفى المستوى السفلى من تلك الدخلات فتح صف من الحوانيت .

ويزخرف الواجهة من أعلى زخرفة بارزة على هيئة الشرافات معدولة ومقلوبة منفذة بالطوب الآجر .

أما الواجهة الرئيسة للحمام فهى الواجهة الغربية ، وهى الواجهة الوحيدة التى ما تزال على أصلها القديم ، وتمتد لمسافة 42م ، وهى مقسمة أيضا لعدد من الدخلات بنفس الأسلوب الموجود فى الواجهة الشمالية ، ويتوسطها المدخل الرئيس الأصلى للحمام ، إلا أن هذا المدخل غير مستعمل حاليا ، ويتم الدخول إلى الحمام من خلال باب حديث آخر فى الضلع الشرقى من الحمام ، ويغطى حجر المدخل نصف قبة مزخرفة بزخارف هندسية جصية " غالب كارى " ، وعلى جانبى المدخل دخلتان زخرفت جدرانهما برسوم الفريسكو .

القسم الشمالى :" **شكل** 5 "

يشتمل هذا القسم على القاعة الباردة للحمام وملحقاتها ، وهى عبارة عن قاعة مثمنة الشكل يتعامد عليها أربعة إيوانات تتبادل مع أربعة دخلات صغيرة المساحة [1] .

ويغطى هذه القاعة قبة كبيرة يبلغ ارتفاعها 9,30م يبرز من وسطها منور مثمن للإضاءة والتهوية ، ويزخرف باطن القبة زخارف هندسية جصية على شكل معينات ومثلثات متشابكة معروفة باسم " غالب كارى " " لوحة 26 "، وتقوم القبة على رقبة مثمنة مرتفعة بها أربعة حنايا ركنية شغل باطنها بالزخارف النباتية المنفذة بالفريسكو ، وتنتهى تلك الحنايا فى أعلاها بالمقرنصات ، وفى كل ضلع من أضلاع الرقبة المثمنة توجد فتحة معقودة للإضاءة والتهوية على جانبيها حنيتان مصمتتان.

أما الإيوانات الأربعة فيغطى كل منها نصف قبة مزخرفة بزخارف هندسية " غالب كارى " ، وتشرف على القاعة من خلال فتحة كبيرة متوجة بعقد مدبب زخرفت كوشاتها بزخارف آدمية منفذة بالفريسكو عبارة عن رسم ملاك مجنح يسبح فى الهواء على رأسه تاج" لوحة 27 " .

وزخرفت الجدران القائمة بين الإيوانات الأربعة والدخلات بمناطق زخرفية مستطيلة ومربعة ومفصصة تضم فى داخلها رسوم زهريات وأشجار مورقة وفروع نباتية منفذة بالفريسكو ، وفى المستوى العلوى من الجدران يوجد أشرطة زخرفية تضم رسوم أوانى مليئة بالفاكهة ، وزجاجات النبيذ .

وكان يتوسط أرضية هذه القاعة قديما حوض كبير للمياه ، ردم وسوى بالأرض أثناء حكم السيخ [2] .

---

[1] يلاحظ أن بعض تعديلات قد حدثت بهذه القاعة ، منها سد الإيوان الغربى المتصل بهذه القاعة ، وسد باب بالإيوان الشمالى كان يطل على الواجهة الشمالية ، كذلك سدت الدخلة فى الركن الشمالى الغربى .

[2] Nadiem , Ihsan , Lahore a glorious heritage , Lahore , 2007 , p 139 .

القاعتان الشرقية والغربية على جانبى القاعة المثمنة : " **شكل** 5 "

يحيط بالقاعة الرئيسة المثمنة من الناحيتين الشرقية والغربية قاعتين متماثلتين ، تأخذ كل منهما شكلا مستطيلا ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام عن طريق عقدين ، ويغطى كل قسم قبة منخفضة بقمتها فتحة دائرية للإضاءة والتهوية ، ويزخرف باطنها زخارف جصية هندسية " غالب كارى " .

وقد طرأت تعديلات حديثة على هاتين القاعتين ، فالقاعة الشرقية فتح بها بابين يفتحان على المساحة المكشوفة التى تتقدم الواجهة الشرقية ، ويستخدمان حاليا فى الدخول بعد سد الباب الرئيس ، كما سد القسم الشمالى من هذه القاعة ، وأصبح حجرة منفصلة استخدمت كحانوت يطل على الواجهة الشمالية .

أما القاعة الغربية فقد قسمت إلى ثلاثة أقسام منفصلة بجدران حديثة بعد ضم الإيوان الغربى للقاعة المثمنة إليها ، وأصبحت عبارة عن ثلاثة حوانيت ، اثنان منها يطلان على الواجهة الغربية والثالث يطل على الواجهة الشمالية .

الممر الفاصل بين القسمين الشمالى والجنوبى :

القسمان الشمالى والجنوبى يفصل بينهما ممر يمتد من الشرق إلى الغرب بكامل عرض الحمام ، تنخفض أرضيته عن أرضية القسم الشمالى ، وينقسم إلى خمسة أقسام يغطيها قباب صغيرة يبرز من وسطها منور مثمن ، فيما عدا الجزء الأول منها يغطيه سقف مسطح ، ويزخرف باطن هذه القباب زخارف هندسية جصية معروفة باسم " غالب كارى " ، وعلى يسار الداخل لهذا الممر يوجد السلم الموصل لسطح الحمام .

وقد حدثت تعديلات حديثة على هذا الممر ، حيث بنى جدار فى وسطه قسمه إلى قسمين ، الجزء الغربى استغل كحانوت ، والجزء الشرقى فتح به باب يطل على المساحة المكشوفة التى تتقدم الواجهة الشرقية .

القسم الجنوبى : " **شكل** 5 "

يشتمل هذا القسم على المدخل الرئيس للحمام ، يليه قاعة الانتظار ، وعلى القاعة الدافئة ، والقاعة الساخنة للحمام ، بالإضافة إلى مصلى ملحق بالحمام وبعض الحجرات الملحقة .

القاعة التى تلى المدخل " **قاعة الانتظار** " " **لوحة** 28 ":

يؤدى المدخل الأصلى للحمام [1] الموجود فى الواجهة الغربية إلى قاعة مستطيلة (7,30م × 3,85م) ، كانت تستخدم على الأرجح كقاعة انتظار أو جلوس مبدئية لمرتادى الحمام ، ويغطى هذه القاعة قبتين مختلفتي الشكل ، يزخرف باطن كل منها زخارف هندسية متشابكة " غالب كارى " .

وتشتمل جدران القاعة على دخلات مصمتة فى مستويين ، السفلية مستطيلة الشكل والعلوية مثلثة .

وفى طرفى هذه القاعة بابين أحدهما فى الجدار الشرقى يوصل إلى مساحة مربعة تتصل بالممر الفاصل بين قسمى الحمام ، والثانى فى الجدار الجنوبى يوصل إلى ممر ضيق يوصل إلى القاعة الرئيسة المثمنة للقسم الجنوبى ، وإلى حجرة أخرى فى الضلع الغربى للقسم الجنوبى .

وبالضلع الغربى لهذه الحجرة دخلة مستطيلة بها من أعلى أربعة فتحات كان ينساب منها الماء على لوح من الرخام .

[1] هذا المدخل مغلق حاليا ، ويتم الدخول للحمام من باب حديث فى الواجهة الشرقية .

الحجرة فى الضلع الغربى " قاعة الشاذروانات " " لوحة 29 "

تأخذ هذه الحجرة مساحة مستطيلة الشكل ، وتتميز بوجود ثلاثة دخلات مستطيلة (73 سم × 1,40م) ، بكل دخلة ثلاثة فتحات مستديرة اثنتان على الجانبين وواحدة فى سقف الدخلة ، وتتصل هذه الفتحات بمجرى للمياه يوجد أعلى هذه الدخلات ، ويتصل هذا المجرى بمجرى آخر بالممر الملاصق لهذه الحجرة ، كان الماء يصل إليه من البئر الملحق بالحمام .

فما الغرض من هذه الدخلات ، هل كانت أماكن للنظافة المبدئية قبل الدخول إلى القاعة الساخنة ، أم هى أماكن للإغتسال كانت تستوعب عددا من رواد الحمام فى وقت ازدحامه ، الحقيقة أنى أرجح أن تكون هذه الدخلات كانت تحوى فى وسطها شاذروانات من الرخام ينساب عليها الماء ، وتتجمع المياه فى قنوات فى أرضية القاعة ، ويرجح هذا الرأى وجود دخلة مماثلة فى القاعة التى تلى المدخل ، ذات جدار مائل وتضم فى أعلاها صف من الفتحات العريضة كان ينساب منها الماء .

الحجرة فى الركن الجنوبى الغربى :

نصل إلى هذه الحجرة من خلال ممر ضيق يبلغ عرضه 95 سم وطوله 5,20م يغطيه سقف برميلى يبرز من وسطه منورين وفى أعلاه مجرى المياه المذكور سابقا .

وهذه الحجرة غير منتظمة الشكل ، وبها شباك يطل على الواجهة الجنوبية للحمام ، وكانت هذه الحجرة تستخدم فى السابق كمرحاض.

بيت الحرارة : " **لوحة** 30 "

السمة الأساسية فى القسم الجنوبى من الحمام تتمثل فى بيت الحرارة المكون من قاعة مثمنة مغطاة بقبة فى وسطها منور مثمن ، فتح فى أضلاعها ثمانية فتحات ، أربعة منها كبيرة يعلوها عقد مدبب ، وأربعة صغيرة يعلوها عتب .

الفتحتان الشمالية والغربية تفتحان على قاعتين متشابهتين مربعتى الشكل ، يغطى كل منها قبة زخرف باطنها بزخارف هندسية جصية متشابكة " غالب كارى " ، وبجدرانها دخلات صغيرة مصمتة .

أما الفتحة الموجودة فى الضلع الجنوبى فتؤدى إلى دخلة كبيرة بصدرها باب خشبى كبير يوصل إلى مساحة مكشوفة خلف الحمام ، أغلب الظن أنها كانت تمثل منشر الحمام والمستوقد .

والفتحة الجنوبية الغربية تؤدى إلى مصلى ملحق بالحمام ، على شكل حجرة مستطيلة (3,15م × 2,75م) ، بصدرها محراب ، وفى جدرانها تجاويف صغيرة معقودة لوضع المصاحف ، وسقف هذه الحجرة قبة ضحلة زخرفت رقبتها بصف من الدخلات المعقودة على شكل المحاريب.

والفتحة الموجودة بالضلع الشمالى الشرقى توصل إلى ممر طويل يبلغ طوله 6م وعرضه متر تقريبا ، وهناك حجرتان تفتحان على هذا الممر ، الأولى مربعة 5×5م ومغطاة بقبة ، ولها باب يفتح فى الواجهة الشرقية ، والحجرة الثانية مستطيلة الشكل (4,80 ×2,55م) بها دخلتين مستطيلتين بجوانبها فتحات مستديرة كانت تخرج منها .

أما الفتحة الموجودة فى الضلع الشمالى الغربى من القاعة المثمنة فتفتح على ممر يوصل إلى حجرة الاستقبال التى تلى المدخل الرئيس ، وإلى القاعة ذات الدخلات " الشاذروانات " .

والفتحة فى الضلع الجنوبى الشرقى توصل إلى ممر طويل مسدود فى نهايته .

القاعة ذات الإيوانات والخلاوى :

الفتحة الموجودة فى الضلع الشرقى للقاعة المثمنة تؤدى إلى قاعة أخرى كبيرة يتوسطها مساحة مربعة مغطاة بقبة يبرز من وسطها منور مثمن ، ويزخرف باطنها زخارف هندسية جصية " غالب كارى " وبهذه القاعة ثلاثة إيوانات يغطى كل منها نصف قبة مزخرفة بزخارف هندسية جصية " غالب كارى " .

وفى صدر كل إيوان توجد الخلاوى المخصصة للإغتسال " لوحة 31 "، وهى فريدة فى تكوينها المعمارى ، فهى عبارة عن دخلات عميقة مستطيلة المساحة ، تشرف على الإيوانات بفتحة صغيرة معقودة وليس من خلال باب ، وبأرضية هذه الدخلات توجد أحواض من الطوب المغطى بالملاط ، ويصل الماء إلى هذه الأحواض من خلال فتحات صغيرة تشبه المزاغل تتصل بأقصاب مغيبة فى الجدار ، ويبلغ عدد هذه الدخلات المخصصة للاستحمام أربعة دخلات ، واحدة فى كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى واثنتين فى الإيوان الشرقى .

دراسة تحليلية للعناصر المعمارية الزخرفية فى عمائر وزير خان بلاهور

تعكس عمائر وزير خان السمات المعمارية والزخرفية لمدرسة لاهور المعمارية فى القرن السابع عشر ، ففى هذا القرن أصبح لمدينة لاهور طراز معمارى خاص بها ، يتألف من مزيج من التقاليد المعمارية المستوحاة من العمارة الصفوية فى إيران والعمارة المغولية فى دلهى [1] .

ومن أبرز ملامح هذه المدرسة استخدام نوع من الطوب الآجر صغير الحجم تميزت به مبانى لاهور ، ويستثنى من هذا بعض المبانى التى بنيت بتكليف من أباطرة المغول فقد بنيت وفق الأسلوب الامبراطورى فى دلهى وأجرا [2] .

ومن سمات هذا الأسلوب أيضا الاستخدام المسرف للفسيفساء الخزفية خاصة فى الجدران الخارجية ، ومن المعروف أن استخدام البلاطات والفسيفساء الخزفية كان نادر الاستخدام فى المبانى المغولية [3] خارج إقليمى السند والبنجاب .

وسارت القباب فى عمائر لاهور وفق الأسلوب الباتانى " البشتونى " من حيث استخدام القباب المسطحة المبنية من الطوب التى يسمونها باسم " كنبدى شلغم " أى القبة اللفتية التى تشبه ثمرة " اللفت "، وعرفت كذلك القباب المزدوجة المؤلفة من طبقتين داخلية وخارجية .

وعرفت لاهور أيضا بالاهتمام الشديد بتنظيم الحدائق ، حتى أطلق عليها " مدينة الحدائق " [4] ، وبنيت فى وسط هذه الحدائق نوع من

---

[1] Mumtaz . Kamil Khan , Architecture in Pakistan , p 78

[2] Mumtaz . Kamil Khan , Op.cit , p 78 .

[3] عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص 560 .

[4] محمد إقبال بهته ، بنجاب كى آثار قديمة ، ص 29 .

المبانى يشبه الجوسق أطلق عليه اسم " باره درى " ، وأحيانا تبنى الأضرحة فى وسط الحدائق .

ويمكننا دراسة سمات عمائر وزير خان فى لاهور من خلال ثلاثة جوانب هى : التخطيط – مواد البناء – العناصر الزخرفية .

التخطيط :

يعتبر تخطيط مسجد وزير خان " شكل 2 " تخطيطا فريدا فى عمارة المساجد المغولية بالهند ، صحيح أن بعض تفاصيله المعمارية ظهرت من قبل فى عدد من المساجد بالهند ، إلا أن العناصر المعمارية الجديدة التى ظهرت فى تخطيطه وبصفة خاصة دار الإقامة التى تفصل بين بوابة الدخول وصحن المسجد ، وكذلك السوق المربع المكشوف الذى مثل جزءً مهما من التكوين المعمارى لمجمع المسجد ، والمآذن المثمنة فى أركان الصحن كل هذا يجعلنا نصنف تخطيط المسجد على أنه تخطيط فريد بين تخطيطات المساجد المغولية فى الهند .

استوحى معمار المسجد بعض عناصر التخطيط من بعض المساجد التى بنيت من قبل ، فقاعة الصلاة المكونة من رواق واحد مقسم إلى ثلاثة أو خمسة مربعات يغطي كل منها قبة كان تخطيطا شائعا فى المساجد المغولية بالهند [1] ، والرواق ذو القباب الخمسة تحديدا ظهر من قبل فى عدد من المساجد فى الهند ، ومنها على سبيل المثال المسجد الجامع بقلعة بورانا المعروف بمسجد كيلاكونا فى دلهى الذى أنشأه شير شاه سورى فى سنة 948هـ/ 1541م ، كما وجد أيضا فى مسجد

[1] Khan , Ahmed Nabi , development of mosque , p 161 .

كالان " المسجد الأسود " فى مدينة أجرا المؤرخ بسنة 1009هـ /1600م [1] ، غير أن النموذج المباشر الذى من المحتمل أن يكون المعمار قد استوحى منه هذا التخطيط يتمثل فى قاعة الصلاة بمسجد مريم زمانى فى لاهور الذى أنشأته والدة الامبراطور جهانكير بين سنتى 1021- 1025هـ / 1612- 1616م ، والذى تشتمل قاعة الصلاة فيه على رواق واحد مغطى بخمسة قباب أكبرها القبة الوسطى .

أما الحجرات المحيطة بالصحن من ثلاثة جهات فقد وجدت أيضا من قبل فى العمارة الهندية فى عدد من المساجد ، ومنها على سبيل المثال مسجد ومدرسة خير المنازل بدلهى 961هـ /1561م ، كما ظهرت تلك الحجرات أيضا حول الصحن بالمسجد الجامع الذى بناه الامبراطور أكبر بمدينة فتح بورسكرى فى سنة 979هـ /1571م [2] ولكن يتقدم الحجرات رواق يشرف على الصحن ببائكة من عقود مدببة ، وقد ترك هذا العنصر فى مسجد وزير خان تأثيره على مسجد بادشاه فى لاهور حيث اشتمل أيضا على صف من الغرف يحيط بالصحن من ثلاثة جهات .

أما المآذن الأربعة المثمنة الشكل فى الأركان الأربعة لصحن مسجد وزير خان فتعتبر أقدم الأمثلة الباقية لهذا الشكل من المآذن فى مساجد لاهور ، وقد تركت هذه المآذن المثمنة تأثيرها على المآذن الأربعة فى زوايا ضريح جهانكير 1037هـ /1627م بمدينة شاهدرا قرب لاهور ، حيث بنيت على نفس الطراز ، لكنها كسيت بالرخام بدلا من الفسيفساء ، كما تأثرت بها أيضا مآذن مسجد دايه أنكا بلاهور 1045هـ/ 1635م .

[1] أحمد رجب ، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند ، القاهرة ، 1997م ، ص 109 ، 150 .

[2] أحمد رجب ، المرجع السابق ، ص 110 ، 133 .

وفيما يتعلق بتخطيط باره درى وزير خان " شكل 3 ، 4 " فيمكن القول أن تخطيطه قد تأثر إلى حد كبير بتخطيط باره درى الأمير كمران 936- 947هـ/ 1530- 1540م ، حيث يعتمد التخطيط فى كل منهما على القاعة المركزية الوسطى المغطاة بقبة وتلتف حولها أربعة حجرات مستطيلة فى الجوانب الأربعة ، وأربعة حجرات مثمنة فى الأركان ، لكن الإضافة الجديدة فى تخطيط باره درة وزير خان تتمثل فى إضافة أربعة أبراج فى زوايا المبنى .

أما بالنسبة لتخطيط حمام وزير خان " شكل 5 " فيمتاز بالتعقيد الشديد ، وهو يعطينا فكرة عن تخطيط الحمامات العامة المغولية من أنها كانت من طابق واحد ، واعتمد على تقسيم المبنى إلى قسمين شمالى وجنوبى يفصل بينهما ممر مستطيل ، واتبع نفس التخطيط التقليدى للحمامات الإسلامية المكون من ثلاثة أقسام ، القاعة الباردة ، القاعة الدافئة ، القاعة الساخنة ، إلا أن القسمين الأخيرين متداخلين مع بعضهما ، وظهر فى تخطيط هذا الحمام أفكار جديدة منها أن خلاوى الاستحمام لا تقع فى أركان بيت الحرارة ، بل توجد فى قاعة أخرى متصلة بها ، كما أن هذه الخلاوى ليست فى شكل الحجرات المعهودة فى الحمامات الإسلامية ، وإنما هى عبارة عن دخلات ضيقة يدخل إليها من خلال فتحة صغيرة معقودة تشبه النافذة ، ويصل الماء إلى هذه الخلاوى من خلال فتحات فى الجدار تشبه المزاغل .

مواد البناء : بنيت عمائر وزير خان مثل بقية عمائر لاهور من الطوب الآجر صغير الحجم الذى لا يتجاوز عرض الطوبة الواحدة 2 سم ، واستخدم نفس هذا الطوب أيضا فى تبليط الأرضيات ، واستخدمت مواد

رابطة تتألف من الجير المخلوط مع الحصى الصغير والحمرة ، وكسيت الجدران بنوع من الجبس يستخدم فى شبه القارة الهندية يسمى " جبس الشونامى " Chunam يخلط مع الجير والرمل [1] ، والفسيفساء الخزفية استخدمت على نطاق واسع فى زخرفة المسجد ، اما الأخشاب فهى قليلة الاستخدام ويتركز استخدامها فى الأبواب.

العناصر الزخرفية :

تمثل زخارف عمائر وزير خان مرحلة مهمة فى تاريخ زخارف العمارة المغولية ، وربما تكون زخارف هذا المسجد أروع ما أنتج فى تاريخ العمارة الإسلامية فى شبه القارة الهندية ، وبعض الباحثين يعدون مسجد وزير خان مع مسجد الشاه فى أصفهان أهم مسجدين فى العالم تم كسوة جدرانهما بالكامل بالزخارف المختلفة [2] ، حيث قسمت السطوح الداخلية والخارجية للمسجد إلى لوحات وأفاريز نفذت عليها الزخارف بطريقتين ، الأولى بطريقة الفريسكو حيث تمزج الألوان والأصباغ مع الماء أو مع الماء والجير ثم توضع الرسومات على الجص وهو ما يزال لينا فيتشرب الألوان ولا تمحى الزخارف بسهولة [3] ، أما الطريقة الثانية فهى الفسيفساء الخزفية التى استخدمت فى هذا المسجد على نطاق واسع حيث نفذت عشرات التصميمات بهذه الطريقة [4] ، ورغم أن الفسيفساء الخزفية كانت معروفة قبل العصر المغولى فى الهند وكانت متأثرة بالتقاليد الفنية فى آسيا الوسطى ، إلا أنها لم تكن تستخدم على نطاق واسع ، أما فى العصر المغولى فالفسيفساء الخزفية كانت متأثرة من حيث التصميمات والألوان بالعمائر الصفوية فى إيران فى القرنين 10 ،

[1] Chaudhry , Nazir , A`short history of lahore , pp 92-94 .
[2] Chaudhry , Nazir , Op.cit, p97 .
[3] Nadim , Ihsan , Historical mosques of Lahore , p 94 .
[4] كان طلاب مدرسة مايو للفنون الجميلة فى لاهور يتلقون دروسا عملية فى التصميمات فى هذا المسجد

11هـ /16- 17م فى خراسان وأصفهان ومشهد ، وأرجح أن زخارف الفسيفساء فى مسجد وزير خان قد تأثرت بمثيلتها فى مسجد الشاه ومسجد الشيخ لطف الله فى أصفهان وكلاهما بنى قبل مسجد وزير خان بفترة قصيرة ، وتتشابه التصميمات الزخرفية فى هذه المساجد الثلاثة ، وكان اللون الأزرق بدرجاته أكثر الألوان استخداما على الفسيفساء المنفذة فى هذه المساجد ، أما عن أنواع الزخارف المنفذة على عمائر وزير خان فيمكن حصرها فى الأنواع الآتية :

الزخارف النباتية : تأتى الزخارف النباتية فى المرتبة الأولى بين أنواع الزخارف المستخدمة فى زخرفة عمائر وزير خان ، وقد تنوعت أشكال هذه الزخارف النباتية لتشمل الزخارف العربية المورقة " الأرابيسك " ورسوم الأشجار المختلفة الأشكال ، والغصون المزهرة وباقات الزهور ، فضلا عن أطباق الفاكهة والخضروات .

وتعتبر باقات الزهور أكثر التصميمات استخداما فى الزخارف النباتية فى عمائر وزير خان ، حيث نراها بكثرة تزخرف الدخلات المستطيلة والمربعة على جدران قاعة الصلاة بالمسجد ، وعلى بدن المآذن الأربع ، وعلى جانبى مدخلى المسجد ، وعلى جدران القاعة الباردة فى الحمام ، وتتنوع أشكال الفازات التى تخرج منها الزهور حتى أنى أحصيت أكثر من عشرة أشكال من الزهريات منفذة فى عمائر وزير خان.

واشتملت عمائر وزير خان على عدد كبير من الفواكه موضوعة داخل أطباق واسعة " لوحة6 "، ومن أهم الفواكه التى رسمت التفاح والرمان والكمثرى والموز والمانجو والعنب والبطيخ والشمام والبلح ، أما الخضروات فلم نجد منها إلا الخيار .

ويرى الدكتور كامل ممتاز أن هذه الرسوم تخلق جوا من البهجة وتعطى للمشاهد إحساسا بالجنة ونعيمها الذى لا ينقطع ، حيث نرى فيها فواكه لمختلف فصول السنة [1].

ووجدت أيضا أشجار السرو فى عدة مواضع من عمائر وزير خان ، ولهذه الشجرة دلالة رمزية فى الزخارف الإسلامية فهى بتكوينها المتماثل رمز للإنسان الكامل ، وقمتها المنحنية رمز للخضوع والطاعة والاستسلام للمسلم تجاه ربه [2] ، استخدمت شجرة السرو كعنصر زخرفى فى عدة أجزاء من مسجد وزير خان ، ونفذت بالفسيفساء الخزفية باللون الأزرق التركوازى فى نهاية البدن المثمن للمآذن الأربعة ، ونفذت بالفريسكو باللون الأخضر يلتف حولها كرمة العنب وعناقيد العنب أسفل المثلثات الكروية الحاملة للقباب الخمسة للمسجد ، ورسمت بنفس الطريقة داخل المدخلين على جانبى الصحن " لوحة 12 " ، وفى حمام وزير خان استخدمت أشجار السرو فى زخرفة الدخلات الأربعة الصغيرة المحيطة بالقاعة المثمنة بالقسم الشمالى من الحمام .

والحقيقة أن رسوم أشجار السرو المنفذة بالفسيفساء فى مسجد وزير خان لها أهميتها فى زخارف العمائر المغولية فى لاهور ، فهى تظهر على الفسيفساء لأول مرة فى هذا المسجد ، وكانت قد ظهرت من قبل منفذة بالفريسكو فى مسجد مريم زمانى فى لاهور ، وظهر تأثير هذا العنصر الزخرفى فيما بعد فى عدد من العمائر المغولية التى بنيت بعد ذلك ومنها ضريح شرف النساء المعروف باسم " سرولة مقبرة " الذى

[1] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 63 .
[2] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 63 .

سمى بذلك لوجود صف من أشجار السرو يزخرف الجزء العلوى من جدران الضريح من الخارج ، وفى قاعة المرايا المعروفة باسم " شيش محل " بقلعة لاهور نفذت أشجار السرو بقطع من الزجاج .

الأشجار والغصون : رسمت الأشجار المثمرة وغير المثمرة فى عدة أجزاء من عمائر وزير خان ، تتنوع أشكال جذوعها وأوراقها ، وغالبا ما كان الفنان يراعى رسم الشجرة بطريقة تتناسب مع أشكال الحنايا أو المناطق التى تزخرفها .

والغصون قد ترسم فى وحدات مستقلة عن الأشجار على شكل غصون قصيرة تزخرف كوشات العقود او توجد على جانبى الفازات والأشجار الكبيرة أو تشكل أرضية للكتابات الفارسية " لوحة 7 " .

أما رسوم الأشجار العتيقة فنادرا ما طبقت فى زخارف عمائر وزير خان ، ومن بين الأشجار العتيقة المثيرة للجدل فى مسجد وزير خان رسم شجرة عتيقة مرسومة على جانبى المحراب الثانى بجدار القبلة " لوحة 16 " بالألوان البنى والأخضر الشاحب ويتدلى من هذه الشجرة خصلات من الشعر الأسود ، وحولها الشجرة رسمت مجموعة من السحب والغيوم ، ويرى الدكتور كامل خان ممتاز أن هذا الرسم يشير إلى أحداث صلح الحديبية وبيعة الرضوان التى بايعها الصحابة للنبى تحت الشجرة ، وأن هذا الشعر يشير إلى واقعة حلق النبى صلى الله عليه وسلم لشعره وتعليقه على الشجرة حتى يقتدى به الصحابة ، وربط بين هذا الرسم وبين سورة الفتح المنفذة على شريط كتابى يحيط بالمدخل الأوسط لقاعة الصلاة [1] .

[1] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 63 .

وأرى أنه ليس هناك ارتباط بين سورة الفتح وبين رسم هذه الشجرة بهذا الشكل ، بدليل أنها منفذة فى أماكن أخرى فى المسجد ليس فيها سورة الفتح ، حيث توجد داخل مناطق معقودة تزخرف الجدران الداخلية للمدخلين الموجودين على جانبى الصحن .

أشجار النخيل : وجدت أشجار النخيل ممثلة فى داخل المدخلين على جانبى الصحن" لوحة 12 " ، رسمت على هيئة جذع مجدول يتفرع منها تسع مجموعات من الجريد ، ويتدلى منها أربعة شماريخ من التمر ، وظهرت رسوم أشجار النخيل من قبل فى جدار القبلة بمسجد مريم زمانى .

الزخارف الكتابية :

تحتل الكتابات المرتبة الثانية بين زخارف مسجد وزير خان ، فى حين يخلو كلا من الحمام والباره درى من أية نصوص كتابية ، وتنوعت أنواع الخطوط المستخدمة فى زخرفة المسجد لتشمل النسخ والثلث والطغراء والنستعليق والكتابة المعكوسة ، كما تنوعت مضامين هذه الكتابات ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية وكتابات فارسية ، وقد أضفت هذه الكتابات جوا من القدسية والروحانية على المسجد ، ويمكن القول أنه لايوجد مسجد آخر فى العالم الاسلامى يضم هذا المزيج الرائع من الزخارف الكتابية والنباتية .

وقام بتنفيذ كتابات المسجد أربعة من الخطاطين هم حاجى يوسف كشميرى ومحمد شريف ومحمد على وملا حسين .

وقد شملت الكتابات أجزاء كبيرة من المسجد ، حيث نجدها تزخرف كتلة المدخل الرئيس " لوحة 3 " وكذلك المدخل الجانبى

وأعلى المدخل الداخلى من ناحية الصحن" لوحة 7 " وعلى واجهة قاعة الصلاة المطلة على الصحن والمحاريب الخمسة فى جدار القبلة" لوحات 17 ، 18 " وعلى الدعامات الفاصلة بين الأقسام الخمسة لقاعة الصلاة فى جدار المؤخرة لقاعة الصلاة وفى باطن القباب الخمسة التى تغطى هذه قاعة .

وكتلة المدخل الرئيسة للمسجد تضم كتابة منفذة بالفسيفساء بخط الثلث الجلى باللون الأزرق نصها " أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله " وتحت كلمة " أفضل " كتب تاريخ الإنشاء " 1045هـ " لوحة 3 ".

الكتابات الفارسية : يشتمل المسجد على سبعة لوحات باللغة الفارسية مكتوبة بخط النستعليق ، منها ستة لوحات على البوابة الشرقية ، ولوحة واحدة أعلى الباب الداخل فى الضلع الشرقى للصحن ، فعلى جانبى البوابة الرئيسة" لوحة 3 " توجد أربعة لوحات بواقع لوحتين فى كل جانب ، تعلو إحداهما الأخرى مكتوبة بخط النستعليق باللغة الفارسية باللون الأزرق تفيد أن المسجد بنى فى عهد شاه جهان على يد وزير خان فى سنة 1044هـ ، وعلى جانبى فتحة المدخل من أسفل لوحتان معقودتان متماثلتان من الفسيفساء الخزفية ، تضمان كتابة باللغة الفارسية بخط النستعليق باللون الأزرق على أرضية بيضاء تتخللها أغصان صغيرة وزهور ، تشير إلى أن المسجد مظهر للبركة وأن الفلاح يحصد ما زرعه يوم القيامة فى مزرعة الآخرة ، وأعلى الباب الداخلى توجد لوحة رائعة من الفسيفساء الخزفية" لوحة 7 " ، عليها أبيات من

الشعر باللغة الفارسية بخط النستعليق باللون الأزرق على أرضية باللون الأصفر ترجمتها " محمد عربى وقار وزينة للدارين – والذى ليس ترابا على عتبته فليكن التراب على رأسه ".

الكتابات العربية : تنوعت ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية ، حيث كتبت سورة الفتح وسورة الحشر تحيط بالمدخل الأوسط لقاعة الصلاة ، وأعلى المدخل المذكور كتبت آية الكرسى بخط محمد شريف ، ونفذت على الأشرطة الأفقية أعلى عقود واجهة قاعة الصلاة نصوص مختارة من سورة البقرة (الآيات 125- 127- 144) وآل عمران (الآية 96) والتوبة (الآيات 18 و 108) ، وعلى المحراب الأوسط داخل قاعة الصلاة كتبت الآية " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... ".

ومن أمثلة الأحاديث المكتوبة بالمسجد ، على الباب الجانبى للمسجد ، كتب الحديث الشريف " قال عليه السلام من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ، قال عليه السلام التوفيق شئ عزيز لا يعطى إلا لعبد عزيز " ، وعلى واجهة قاعة الصلاة كتب الحديث الشريف " قال عليه السلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " وحديث " المؤمن فى المسجد كالسمك فى الماء والمنافق فى المسجد كالطير فى القفص قال عليه السلام إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول " " لوحة 10 " ونلاحظ أن الخطاط لم يكن يتحرى صحة هذه الأحاديث فكتب بعض الأحاديث الضعيفة.

الزخارف الهندسية : تأتى الزخارف الهندسية فى المرتبة الثالثة بين أنواع الزخارف ، ومن بين الزخارف الهندسية الأكثر شيوعا :

- زخارف ال" غالب كارى " : تطلق هذه الكلمة على نوع من الزخارف الهندسية القالبية المصنوعة من الجص على شكل معينات تتداخل مع مثلثات ، وأحيانا تشغل هذه المناطق الهندسية بزخارف أرابيسك أو رسوم أغصان قصيرة ، استخدمت هذه الزخرفة على نطاق واسع فى زخرفة أنصاف القباب التى تغطى الدخلات العميقة والمداخل فى جميع عمائر وزير خان ، وفى كافة مبانى لاهور فى العصر المغولى .
- الزخرفة الزجزاجية " الدالات " ، نفذت هذه الزخرفة بالفسيفساء على العمودين المثمنين على جانبى المدخل الرئيس " لوحة 3 " والمدخل الجانبى للمسجد ، كما نفذت بتشكيلات من الطوب فى باطن قبة الدهليز المثمن الذى يلى الباب الرئيس للمسجد .
- زخارف الدقماق : نفذت بالفسيفساء على واجهة المدخل الشمالى للمسجد ، ونفذت بالتلوين فى نهاية الطابق المثمن للمآذن الأربعة
- الأطباق النجمية ، نفذت بالفسيفساء بألوان مختلفة فى كوشتى العقود فى الدخلات الثلاثة فى طرف الواجهة الشمالية للمسجد .

الزخـارف الآدميـة : لم نعثـر فـى عمـائر وزيـر خـان إلا علـى نمـوذج واحـد للزخـارف الآدميـة يتمثـل فـى رسـم مـلاك مجـنح يسـبح فـى الهـواء ، وعلـى رأسه تاج ويرتدى ملابس فضفاضة يتطـاير مـن نهايتهـا أشـرطة عريضـة ، وقد نفذت هذه الزخرفة بطريقة الفريسكو فى كوشات عقود الإيوانات الأربعة المحيطة بالقاعة المثمنة بالقسم الشمالى من الحمام " لوحة 27 " ، وقد ظهر نفس هذا العنصر الزخرفى منفذا بالفسيفساء الخزفية على الواجهة الشمالية لقلعة لاهور والتى بنيت فى نفس الفترة ، وأشرف وزير خان على بنائها ، كما ظهر هذا العنصر أيضا من قبل فى سراى من عهد جهانكير فى مدينة كوله واله Gola Wala فى إقليم البنجاب ، ويعتقد السيد فيليب فوجل Vogel أن أصول هذا الرسم قد جاءت إلى الفن المغولى بالهند عن طريق إيران [1] .

خلاصة البحث : ألقى هذا البحث الضوء على شخصية وزير خان ، وأنه كان من أهم الحكام الذين تركوا أثرا كبيرا على التطور العمرانى لمدينة لاهور ، وأسهم فى قيام مدرسة معمارية محلية لمدينة لاهور من خلال العمائر العديدة التى أنشاها بتلك المدينة ، ومن أهم هذه العمائر مسجد وسوق وسراى وحمام وباره دورى وزير خان ، وأوضح البحث أن مسجد وزير خان لم يكن بناء مستقلا بذاته وإنما كان ضمن مجموعة معمارية ضخمة ضمت سوقا وسراى ودكاكين وبيوتا ، وأن هذه المبانى قد أسهمت فى نمو مدينة لاهور ناحية الشرق ، كما قامت بدور حضارى حيث كانت مركزا علميا ودينيا وفنيا وتجاريا ، ومن الناحية المعمارية تركت هذه المبانى تأثيرها على المبانى التى أقيمت فى لاهور بعد ذلك

[1] Vogel , J.Ph , Tile mosaics of the Lahore fort , in " Notes on Punjab and Mughal India " , p 232 .

خاصة فى عنصر المآذن المثمنة وفى زخارف الفسيفساء الخزفية وزخارف الفريسكو ، وأثبت البحث أن المنطقة الانتقالية التى تلى المدخل الرئيس للمسجد ليست سوقا وإنما هى دار أو سراى للإقامة ، وان هذا العنصر منقطع النظير فى مساجد شبه القارة الهندية ، وأن حوانيت الوراقين لم تكن تقع فى واجهة المسجد وإنما كانت تشكل جزء من السوق أمام المسجد ، كما قمنا بدراسة حمام وزير خان لأول مرة وأثبتنا أنه الحمام العام الوحيد الباقى فى دولة باكستان ، وتناول البحث خصائص عمائر وزير خان المعمارية والزخرفية وأن زخارف هذا المسجد تمثل مرحلة فريدة فى زخارف المساجد فى شبه القارة الهندية .

وفى الختام أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا البحث العلماء والباحثين ، وأن يجعل ما بذلناه من جهود جبارة لانجازه فى ميزان حسناتنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملحق رقم: (1) ، حجة وقف وزير خان على مسجده [1]

تاريخ الحجة : غرة رمضان سنة 1051هـ / 1641م .

لغة الوثيقة : الفارسية والعربية مع بعض كلمات من اللغة الهندية .

مصدر الوثيقة : . Latif , Syed , Lahore , p 218 ,219

ترجمة الحجة

هو الله

الحمد لله الذي وفق عباده الأعزاز الباقيات الصالحات والصلوة والسلام على رسوله محمد الذي رغبت البرايا في إنفاق الطيبات وعلى آله وأصحابه معدن الخيرات و منافع الحسنات ما دام الأرض و السموات.أما بعد،...

هذا بيان في أنه قد أوقف و تصدق المحتاج إلى الباب الصمدي، المسمى؛ حكيم علم الدين، المعروف بـ "وزير خان" بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ حسام الدين الأنصاري، من خالص أملاكه وأطيب أمواله في حال الصحة وكمال العقل ونفاذ جميع تصرفاته طائعا؛ كل المسجد الجامع بكل توابعه ومرافقه الشرعية ، و لتظل هذه البقعة الشريفة عامرة أوقف لمصالح مسجده المذكور؛ كل الدكاكين التي على جانبي الطريق مع طوابقها العلوية والعرائش والسراى والحمام، وبئرين مركب عليهما ساقية وقطعا من الأراضي المتفرقة ، و كل من هذه الأماكن المذكورة معلومة الحدود ظاهرة العلامات ، و هي تقع في داخل دار السلطنة بلاهور، وقفا صحيحا لازما تبته تبلة لا يباع و لا يوهب و لا يرهن ولا يمهر ولا يورث ولا يملك بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب إلى أن يرث الله الأرض و هو خير الوارثين، وجعل الوقف على الفقراء المسلمين. واشترط أن يكون هذا الوقف من الحسبة والتصرف في الأوقاف المذكورة من عزل خدمة المسجد وتعيينهم وغير ذلك ، وتقسيم المصاريف و تعيينها ، ورفعها

[1] قام بترجمة هذه الحجة الزميل الدكتور نور جمعة الإيرانى الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية العالمية بإسلام آباد

أو حرمانها والتصرف في إيجار الدكاكين تظل مستقلا بيد الواقف المذكور مادام على قيد الحياة ، و يتولى التصرف فيها ولده من صلبه محمد سعيد خان ، و من بعده؛ ميرزا محمد أنور، و من بعده أرشد أبناءه ، ومن بعده الأبناء بطنا من بطن و نسلا من نسل إلى ما توالدوا و تناسلوا، فإذا لم يكن لأحد من الأولاد ذرية من الذكور تنتقل المسئولية إلى أحد الذكور من أقاربه.

واشترط أن يكون إمام المسجد وخطيبه رجلا قارئا عالما بأحكام الصلاة، وأن يكون المؤذن عالما كاملا.

وكذلك اشترط أن يخصص عشرين دكانا من الدكاكين خارج البوابة الشرقية وطوابقها العلوية للمصحفين للكتب الإسلامية دون إيجار على سبيل الدوام.

و كذلك اشترط أن يوظف في المسجد المذكور مدرسين اثنين لتعليم العلوم الدينية ، وأن يصرف من ريع الأوقاف المذكورة إلى أهل الخدمات الرواتب كالآتي: للإمام والخطيب من روبية إلى عشر روبيات يوميا، و للمؤذن نصف روبية يوميا ، و لكل مدرس روبية يوميا. وكل من تولى من أولاد الواقف إدارة الوقف المذكور فله في الشهر سدس إيجار الأوقاف، ومن تولاها من الأقارب فله تسع ، و كذلك بقية مخارج العمارة وأهل الخدمة وسائر الأمور الضرورية كالمشرف و الوقاد والفراش يصرف على المستحقين في المسجد، وعند التعيين يصرف على الخدمة كما هو الحكم في المذهب الحنفي، كل ذلك قد شرط الواقف، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، فقد حكم بلزوم الوقف المذكور وشرط القاضي النافذ الأحكام الذي زين هذه الوثيقة بختمه المبارك.

تحريرا في غرة رمضان المبارك الواقع في سنة 1051**هـ**.

ملحق رقم 1 **حجة وقف وزير خان عن** Latif, Syed, Opcit, p 212=213